من الأدب الساخر

الضحك بسبب!

مختار السويفى

AbuNahla

http://www.ahmedbn221.blogspot.com/

الدار المصرية اللبنانية

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢م

الدار المصرية اللبنانية
طباعة • نشر • توزيع
١٦ شارع عبدالخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس: ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً: دار شادو - ص.ب: ٢٠٢٢ - القاهرة
AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH PRINTING — PUBLI SHING — DISTRIBUTION
16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO

من الأدب الساخر

الضحك بسبب!

مختار السويفى

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

إهـــداء

إلى روح ابنتى الوحيدة هاله ..

زهرة الشباب النقية الطاهرة ..

خفيفة الظـل الـــتى علّمتنى ..

أن فى الحياة شيئاً اسمه « البهجة » ..

حرامى الأسد .. !!

استطاع أحد لصوص « اليومين دول » أن يسرق أسداً من حديقة الحيوان بالجيزة ، واحتفظ به فى بيته لحين التصرف فيه عندما يحين الوقت المناسب .

ويبدو أن أحد جيران هذا اللص قد استاء من الرائحة الكريهة التى تنبعث من الأسد بين حين وآخر ، فأبلغ السلطات بوجود هذا المصدر الخطير لتلوث البيئة .

فى البداية لم يصدق أصحاب الشرطة هذا البلاغ .. ومع ذلك فقد قبضوا عن « المبلّغ » وأوسعوه ضرباً إلى أن اعترف لهم بالحقيقة وأنه شاهد الأسد بعينى رأسه وهو محبوس بمسكن جاره اللص الذى يقع فى الدور الثالث بأحد بيوت الحارة ..

وتم القبض أيضاً على اللص السارق ، واستجوبوه حتى عرفوا اسمه وصنعته وعنوانه ، وحرروا معه محضراً على النحو التالى :

ــ كيف خرجت بالأسد من حديقة الحيوان بالرغم من الحراسة المشددة ..؟

● كلهم شافونى وأنا ساحب الأسد وخارج بيه قدامهم .. محدش فتح بقه بكلمة .. جايز كانوا فى غيبوبة !

ـ هل كان الوقت ليلاً أم نهاراً .. ؟

● كنا فى عز الظهر .

ـ وماذا فعلت بعد ذلك .. ؟

● ربطت رقبة الأسد بحبل .. وسحبته لحد ما وصلت لمحطة الأتوبيس اللى قدام الحديقة .. وركبنا الاتوبيس من الجيزة إلى المطرية .. عشان أنا ساكن هناك ..

ـ تقول ركبت الاتوبيس .. أنت والأسد ..؟!!

● آه طبعاً .. أمال حسيبه واركب لوحدى ..

ـ وهل كان الأتوبيس مزدحماً بالركاب .. ؟

● كان مليان على الآخر ..

ـ وهل لم يلتفت أحد إلى وجود الأسد بينهم .. ؟

● والله ما أنا عارف يا بيه .. الناس بقت مش دريانه بحاجة .. وكل واحد غرقان فى همومه .

ـ والكمسارى .. ألم يحتج على وجود الأسد فى الأتوبيس باعتباره من الحيوانات الممنوعة ؟

● ولا احتج ولا حاجة .. قطع لنا تذكرتين وما أعطناش الباقى .. منه لله !

ـ وسائق الأتوبيس .. ألم يفعل شيئاً ؟

● السائق كان الله فى عونه .. كان منهمكاً فى تبادل الشتائم مع كل سائقى السيارات الملاكى وسيارات الأجرة وسائقى الميكروباص والمينى باص والأتوبيسات الأخرى .. بالإضافة إلى العربجية وراكبى الموتوسيكلات والترسيكلات وراكبى العجل والمشاة وكل من يعبر الطريق أمام الأتوبيس سواء أثناء سيره أو حين وقوفه ..

ـ نحن نسألك ماذا فعل السائق عندما رآك أنت والأسد الذى تسحبه .. ؟

● طلبت منه أن ينزلنا فى المحطة الجاية .. فنفذ ذلك بسرور .. ونزلت أنا والأسد بسلام .. ويبدو أن السائق كان فرحاً بالتخلص من هذه المشكلة .. وحمد الله على أن الأسد لم يأكله !

ـ وكيف مشيتما أنت والأسد فى الشوارع حتى وصلتما إلى البيت .. ؟

● طبيعى جداً .. سرنا معاً وسط الناس الذين يعرفوننى والذين لايعرفوننى ..

ـ ألم يخف أحد أو أصيب بالذعر من رؤية الأسد .. ؟

● لا .. محدش خد باله .. لقد وصلنا حين كان الناس مزدحمين حول

عربة أنابيب البوتاجاز وكل واحد منهم يحاول استبدال الأنبوبة الفارغة التى يحملها بأنبوبة أخرى مليانة ..

ــ وبقية الناس الآخرين .. ألم يفعلوا شيئاً ؟

● لا .. كانوا ملمومين حول صابر أفندى .. وهو أحد الموظفين من سكان الحارة .. لأنه أصيب بالجنون فجأة وأخذ يلطم خديه بقبقاب خشبى .. وهو يشكو بأعلى صوته من شدة الغلاء وشدة البرد فى هذه الأيام ..

ــ ألم يرتكب الأسد أية حوادث أثناء الطريق ؟

● ازاى يعنى ؟

ــ يعنى هل عض أحداً .. هل جرح أحداً ؟

● لا .. لم يعض ولم يجرح أحداً .. ولكن من المؤكد أنه التهم طفلين أو ثلاثة لا أدرى .. لأن ذلك كان يتم فى غاية السرعة .. وعلى أية حال فلم يبلغ أحد باختفاء أى طفل من سكان المنطقة ..

ــ ولما ذا سرقت الأسد من حديقة الحيوان ؟

● لماذا ؟! .. لكى أبيعه طبعاً ..

ــ وهل وجدت من يشتريه ..

● فيه مشترين كثيرين .. ولكنهم جميعاً يريدون الاحتفاظ بأسمائهم

سراً .. زى المشترين بتوع رشاد نبيه اللى اشتروا صفقة الريان .. وكان المشترين بتوعى حيبعتوا لى شيكات ثمن الأسد .. ولكن من المؤكد أنهم سينسحبون من عملية الشراء بعد أن قبضتم على .. وبعد أن أثرتم كل هذه العقبات ووضعتم كل هذه الصعوبات أمام رزقى ..

ـ هل لديك أقوال أخرى ؟

● حتى ولو كان لدى أقوال أخرى .. حتعملوا إيه يعنى .. حاجة غريبة والله !

■ ■ ■

انتهى المحضر وأغلق عند هذا الحد .. وبقيت مشكلة عويصة تواجه السلطات .. وهى كيفية إعادة الأسد مرة أخرى إلى مكانه فى حديقة الحيوان .. وكيف سيركبون به أتوبيس العودة من المطرية إلى الجيزة ..

وبالرغم من أن السلطات تفكر فى هذه المشكلة كل يوم .. إلا أنها لم تصل حتى الآن إلى حل معقول ومناسب .

وإذا كان لدى أحدكم فكرة لطريقة حل هذه المشكلة ، فليحتفظ بها سراً لنفسه .. منعاً للمسئولية ووجع الدماغ !!

تهويش فى تهويش

ما من شعب من شعوب العالم يستطيع أن يتفوق على الشعب المصرى فى « فن التهويش » ..

نعم هناك شعوب أخرى تجيد هذا الفن وتستخدمه فى ممارسة شئون الحياة .. ولكن المصريين بارعون فى استخدامه فى عمليات المشاجرات والخناق .. وهى عمليات أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية لغالبية المصريين .

ولا ينفرد المصريون بداء المشاجرات والمشاحنات والخناقات ، فكل شعوب العالم تتخانق وتتشاجر مع بعضها .. وبعضهم يستعملون الخيول والمسدسات أثناء التشاجر والخناق [راجع خناقات الكاو بويز الأمريكان] .. أو يستخدمون الركل بالأرجل والأذرع وكفوف الأيادى مع القفز إلى أعلى وإلى أسفل وإلى اليمين واليسار [راجع خناقات الآسيويين بالكاراتيه والجايكاندو والكونج فو] .. هذا فضلاً عن الشعوب الأخرى التى تفضل استخدام الخناجر والسيوف والسكاكين .

غير أن المصريين عندما يتشاجرون ويتخانقون مع بعضهم فإنهم يفضلون استخدام اللسان !

وعادة ما تتم الخناقة المصرية طبقاً لطريقة : « ضرب زيد عمروا » .. وتبدأ على النحو التالى :

يقف زيد وعمرو بعيدين عن بعضهما بمسافة كافية ، وكل منهما يتحفز للآخر ويجر شكله . ويبدأ الحوار الساخن .

زيـــد : لم لسانك .. وحط جزمة فى بقّك واقفله !

عمرو : وإن ماقفلتوش حتعمل إيه .. ؟

زيـــد : حافتح كرشك !

عمرو : وأنا حابظّظ عينيك !

زيـــد : حاخلّى الطير الأزرق ما يعرفلكش طريق ..

عمرو : يا عم روح .. اجرى العب مع العيال ..

زيـــد : طاوعنى بلاش تخلّينى أمد إيدى عليك ..

عمرو : ده انت لو مديت إيدك أقطعها لك .. !

[فى هذه الأثناء يقترب الاثنان من بعضهما وهما يعملان بعض الحركات والمناوشات الغاضبة] ..

زيـــد : طاوعنى باقول لك !

عمرو : يا شيخ اتلهى .. ده انت مش حمل زقّة !

زيـــد : أنا مش حمل زقة .. طب خد !

[وهنا يضرب زيد عمرواً لمجرد تحقيق القاعدة اللغوية النحوية التى تقول ضرب زيد عمرواً .. ويكون الضرب خفيفاً لا يسبب ألماً ويتم عادة بزغده فى كتفه بطريقة أقرب إلى التهويش من الضرب الحقيقى] .

وقبل أن يشتبك الاثنان فى عراك ، يتدخل أحد الأفراد ممن يسمون بأولاد الحلال ويفصل بين زيد وعمرو .. اللذين يواصلان الخناق باللسان مع رفع درجة حرارة التهويش ..

زيـــد : ولله ما حسيبك إلا لما تيجى الاسعاف تشيلك !

عمرو : وأنا حودّيك المشرحة !

[وعندئذ يكون ابن الحلال قد فشل فى تخليص عمرو من زيد الذى يكون فى تلك اللحظات قد نجح فى الإمساك بتلابيب عمرو .. وغالبا ما تكون هذه التلابيب هى ياقة قميص عمرو أو ياقة جلابيته .. وعلى الفور يتدخل ابن حلال آخر لمساعدة ابن الحلال الأول فى عملية فصل القوات .. وفى أغلب الأحوال ينجح عمرو هو الآخر فى الامساك بتلابيب زيد .. ويحاول كل منهما تهويش الآخر بضربه عدة ضربات هوائية لا تصيب أياً منهما بسوء] ..

وفى هذه الأثناء يتجمع بضع عشرات من المتفرجين الذين ليس لهم فى الطور أو فى الطحين .. ويزداد بالتالى عدد أولاد الحلال الذين يشتركون فى عملية فصل القوات .. ويزداد أيضاً حماسهم فى تخليص الخناقة وفضّها بطريقة سهلة وحاسمة ، وهى تكتيف وشل حركـات كل

مـن زيـد وعمرو وابعادهما عـن بعضهما .. بينما يحـاول كـل منهما أن «يفلفص» ممن يشلون حركته وهو يقول :

ـــ سيبونى عليه .. أنا لازم أوريه .. !!

وغالباً ما يسأل المتفرجون بعضهم بعضاً :

ـــ هما بيتخانقوا على إيه .. ؟

ـــ والله مانا عارف .. ضرورى فيه سبب !

وعندما تنفض الخناقة وينتهى عرض التهويش المتبادل بين الطرفين المتعاركين ، يتبين بوضوح أن واحداً أو أكثر من أولاد الحلال الذين خلصوا الخناقة ، قد تمزقت ثيابه .. وهنا يواسيه بعض المتفرجين ويقولون بثبات وحكمة بالغة : ماينوب المخلّص إلا تقطيع هدومه !

ويذهب كل امرىء إلى حال سبيله !!

فرح عديله .. !

من الفلكلور المصرى الذى كان شائعاً فى الماضى ، أنشودة عدوانية يغنيها بعض الأطفال العدوانيين فى بعض الظروف الخاصة .. وكان نص هذه الانشودة يتكون من سؤال ورد جوابه ، وهو على وجه التحديد : « فرح مين دَوَّه ؟ .. فرح عديله .. هِدُّه هده بلا نيله » .. ويتكرر هذا السؤال وجوابه عدة مرات أثناء الانشاد ، إلى أن يتصرف أصحاب الفرح المقصود مع هؤلاء الأطفال الملاعين .

ومن الواضح أن هذه الانشودة تثير عدة تساؤلات تحتاج إلى شرح وتحليل .. فمن هى عديله هذه ؟ .. ولماذا أقيم فرحها ؟ .. ولماذا يطالب هؤلاء الأطفال العدوانيون بهدم الفرح فوق رؤوس أصحابه .. ؟!

قيلت فى تبرير ذلك عدة حكايات وأثيرت مجموعة كبيرة من الافتراضات .. وكان هناك إجماع على أن « عديله » هذه مجرد رمز .. قد تكون هى العروسة نفسها ، وقد تكون أم العروسة التى يقام الفرح ومن أجلها .. أما السبب فى المطالبة بهدم هذا الفرح [بلا نيله] فهو موقف غاضب صريح ضد هذا الفرح يرجع حسب طبيعة الأمور إلى عدة احتمالات .. فقد تكون هناك أسباب خفية أدت إلى هذا الموقف

العدائى ، كأن تكون عديله قد خطبت لعريس معين أو قرئت فتحتها أو حدث عنها كلام عن طلب القرب أو الزواج أو غير ذلك من مثل هذه الأمـور ، ولكن حـدثت عكوسات أدت إلى رفض الطلب ولم يتـم الزواج .. عندئذ يكشر أهل العريس عن أنيابهم ويتربصون بأى فرح يقيمه أهل عديله إذا ارتبطت بعريس جديد ، فيقررون هدم الفرح إذا أقيم ، أو يقررون مجرد التهديد بهدم الفرح فى أبسط الأحوال .

وكان من السهل جداً توزيع بضعة مليمات قليلة على بعض الأطفال الأشقياء من أهل العريس المرفوض وعلى بعض الأطفال الآخرين من أهل الحارة أو الزقاق ليذهبوا فى صحبة أطفال آخرين متطوعين إلى حيث أقيم فرح عديله ويطالبون « بهده بلا نيله » .

وكان ظهور هؤلاء الأطفال بأنشودتهم العدائية نذير شؤم لعديله وأهلها .. يتوقعون معه أن « ليلة الفرح » لن تمر على خير .. ويشرعون على الفور فى محاولة طرد هؤلاء الأطفال من الحارة وايقاف انشودتهم المشئومة . وكانت أبسط أنواع الأسلحة التى تستخدم ضد الأطفال هى أن يقوم أهل عديله بملء كل ما لديهم من صفائح وطشوت وجرادل بالمياه .. ودلقها فوق رؤوس هؤلاء الأطفال العدوانيين فيفرون فرحين وهم يصحيون : هيه ! .. هيه ! .. فيزداد أهل عديله غضباً وحنقاً ، ولكنهم يستريحون فى النهاية بسبب التخلص من أنشودة الأطفال .

وإذا لم تفلح هذه الطريقة فى إبعاد الأطفال واسكاتهم ، فتصبح من

الأمور الواجبة عندئذ أن يخرج شاب أو رجل من أهل عديله ومعه خيزرانه ، وعلى الفور يلوذ الأطفال بالفرار مذعورين وبلا صياح .

وفى ليلة الفرح تضاء « الكلوبات » ويحضر المعازيم وكل واحد منهم « يهيّص » بالطريقة التى تعجبه ، وتبدأ الموسيقى والرقص والغناء ، وتستمر عمليات دفع « النقوط » .. وفى هذه العمليات تبدأ التحرشات والمشاغبات ، وتحاك بالتدريج عملية « تبويظ » الفرح بشكل حاسم لا غموض فيه .

ويتضمن الفولكلور المصرى أيضاً طرقاً ونظريات عدة لفن تبويظ الأفراح والليالى الملاح . ونشير فيما يلى إلى النظرية الأولى التى تسمى : «كرسى فى الكلوب » .. وطريقتها فى منتهى البساطة حيث يقوم أحد الغاضبين المتحمسين بالامساك جيداً بأحد كراسى الفرح ، ثم رفعه إلى أعلى مع تطويحه بقوة فى اتجاه أحد الكلوبات المضاءة .. وعلى الفور يطق الكلوب وينكسر زجاجه وتتحطم رتينته ويخر جازاً مشتعلاً .. فيحدث ذعر شديد ويسود هرج ومرج ويدور الضرب .. !

وإذا تكررت عملية « الكرسى » فى كلوب آخر فسوف يزداد الهرج والصياح والصراخ وتبادل السباب والشتائم ويدور الضرب بطريقة أكثر شدة وكفاءة ، وذلك بسبب اشتراك الذين سيتدخلون فى الخناقة لمجرد مجاملة طرف ضد عدوه .. وهكذا ..

أما النظرية الثانية فتدور حول فن اختراع الخناقات وتسمى شعبياً

عملية « جر الشكل » .. وهى تحدث غالباً عند « التنقيط » حيث يقوم المنقط باستفزاز فريق ضد فريق أو جماعة ضد جماعة ، كأن يقول مثلاً : الصعايده آه .. البحراويه لأ .. أو السمكرية آه .. والنقاشين لأ .. أو الجدعان آه .. واللى عارفين نفسهم لأ ..

وفى أغلب الأحوال تؤدى هذه الأساليب الاستفزازية إلى غضب واستنفار هؤلاء المغضوب عليهم .. فيقومون بالتنقيط بدفع مبالغ أكبر وترديد استفزازات أنكى وأشد إيلاماً للفرق أو الجماعات أو الأفراد الآخرين .. وهكذا تزداد بالتدريج حرارة « جر الشكل »! .. وبحكة بسيطة أخرى تشتعل المشاجرة أو الخناقة التى تؤدى إلى تبويظ الفرح .. وتبدأ هذه الخناقة فى العادة باستخدام النظرية الأولى المسماة « كرسى فى الكلوب » وما يؤدى إليه تطبيقها من نتائج معروفة .

المهم أن مثل هذه المشاجرات والمشاحنات لا تفسد للود قضية ، فمن الممكن أن يتم التصالح بين الأفراد والجماعات التى اشتركت فى المشاجرة التى انتهت بتبويظ الفرح وذلك قبل « مرواح » كل منهم إلى بيته .. ومن الممكن أن يحدث مثل هذا التصالح فى أقسام الشرطة بعد أن يُضرب الجميع علقة ساخنة والتنبيه عليهم بعدم استئناف الشجار .. ومن الممكن أيضاً أن يتم التصالح بعد انتهاء فترة علاج المصابين بالجروح أو بكسر العظام ، وهى فترة قد تقصر وقد تطول حسب الأحوال .. المهم أن فرح عديله انهد .. وصدق فأل الأطفال .. !

التكنوفولوچيا .. أو الفول أتوماتيك !

من نعم الله علينا نحن أبناء وادى النيل فى مصر أن وهبنا منذ قديم الأزل القدرة على حب الفول واستطعامه والاستمتاع بتناوله .. وألهمنا القدرة على هضمه وسحقه ودقه حتى أسميناه مسمار المعدة .. كما منحنا الله الذكاء والبراعة فى التنويع فى طرق طهيه وانضاجه . وابتكرت المرأة المصرية حيلا كثيرة للتشجيع على أكل الفول بكافة صوره وأشكاله ..

وهكذا أصبحنا نأكله أخضر « حراتياً » ونابتاً ومدشوشاً ومقلياً بقوطة أو مدمساً ، ونضيف إليه الزبد أو السمن أو الزيت الفرنساوى أو زيت الزيتون أو الزيت الحار مع الليمون .. ولا جناح علينا إذا أكلناه بالبصل الأخضر باعتبار ذلك نوعاً من « المخضرات » المشروعة الحلال التى لا ينطبق عليها قانون المخدرات .

كما يعتبر الفول مادة أولية أساسية فى عمل العجة والبصارة وصناعة الفلافل أو الطعمية ، وهى خط الدفاع الثانى للشعب المصرى بلغة الاستراتيچية والتكتيك .

وهناك فرق هائل وكبير بين الذين يفطرون بالفول كل صباح والذين

يفطرون بالزبد والمربى والبريوش والباتيه والكرواساه أو ما يسمى بالإفطار الكونتنتال .. فالمصرى منا بعد أن يتناول فول الصباح يتحول على الفور إلى إنسان صبور قادر على تحمل عذابات الحصول على لقمة العيش ، بل وعلى تحمل ضريبة المبيعات نفسها ، كما يصبح مستعداً لاقتحام جميع أنواع الصعاب وكل مشقات الحياة بعزم وصبر وفهلوة لا يماثله فيها أحد من سكان كوكب الأرض .

والفول من الناحية العلمية نبات عشبى حولى من توابع الفصيلة القرنية واسمه اللاتينى « ڤيشيا فابا » ويوجد منه نحو خمسين نوعاً وزراعته مفيدة للإنسان والحيوان وللأرض نفسها ، فهو يصون التربة الزراعية ويقويها ويزيد خصُبها . وتصل نسبة البروتين النباتى فيه نحو ٢٤٪ وأصلح أنواعه للتدميس هو الفول الصعيدى البعلى وهو ما كان يزرع فى أراضى الحياض بالصعيد وهو نوع أوشك على الانقراض بعد أن حل محله فى التدميس نوع يسمى « فول الخيل » HORSE BEANS [أى والله العظيم] .

وبجوار بيتنا بائع يجيد صناعة الفول وتدميسه بشكل يجعله خير فول فى هذا العالم ، وتشعر وانت تمضغه كأنك تأكل لوزا مقشراً أو عجمية .. ولكن عيب هذا البائع أنه أصبح يبيع فوله الآن بالدسته [أو بالدزينه كما يقولون فى بعض المناطق العربية] وبذلك تساوى بيع الفول مع بيع « الجاتوه » إلا أن الفول أرخص ثمناً ، حيث لا تزيد قيمة الاثنتى عشرة حباية على نحو عشرة قروش وهو سعر قابل للتحريك كلما

ازدادت حركات الحكومة فى رفع الأسعار . بمعنى أنه قد يرتفع بعد «افتتاح » المحل ويظل يرتفع إلى ما قبل « الإقفال » .

ومن المؤكد أن أنجح حكومة ستحكم مصر فى المستقبل [بعد أن يختفى الارتجال ويسود العلم والرحمة] هى الحكومة التى ستدخل مصر إلى عصر « التكنوفولوچيا » أو عصر « الفول أتوماتيك » .. وفى هذا العصر المستقبلى الوردى المشرق ، سيستطيع الإنسان المصرى أن يفتح حنفية فى بيته ، فيتساقط منها الفول صافياً ونقياً ومدمساً باتقان ، ويستطيع القادرون أن يركبوا سخاناً مخصوصاً يعمل بالطاقة الفولية فيحصلون على الفول ساخناً وجاهزاً للأكل تماماً ولا ينقصه إلا اضافة السمن أو الزيت حسب ما سوف يتوافر فى الأسواق فى المستقبل .

أما عن كيفية قيام حكومة المستقبل بمحاسبة المواطنين عن ثمن الفول الذى أكلوه ، فسوف تكون عن طريق عدادات الفول التى يمكن تركيبها فى كل شقة . وهو مشروع ضخم يكلف أموالاً طائلة ولكن عائده سريع جداً ويمكنه أن يغطى تكاليفه فى شهور قليلة .. ويمكن للحكومة أن تعتمد فى ذلك على نصائح صندوق الفول الدولى . أما العيب الوحيد لمثل هذا المشروع المفيد فهو الخوف من انقطاع الفول من الحنفيات فتحدث مجاعة ..

شورهم وخالف شورهم !

تماماً مثل الفليم السينمائى ، وصف لنا الرحالة المؤرخ البريطانى « ستانلى لينبول » كل ما رآه وسمعه فى القاهرة القديمة ..

عاش هذا المؤرخ فى القاهرة فترة طويلة خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر .. خالط فيها أهل القاهرة الطيبين .. وتجول فى كل الشوارع والحارات والأزقة .. وتحادث مع العلماء والتجار والصناع الحرفيين والحرافيش وأبناء البلد .

وترك لنا « لينبول » كتاباً طريفاً بعنوان « قصة القاهرة » .. وصف فيه كل شىء عن « القاهرة وناسها » منذ الفتح العربى سنة ٦٤١م وحتى سنة ١٩٠٠ م ، وهى السنة التى صدر فيها هذا الكتاب فى لندن .

ويتضمن الكتاب مجموعة كبيرة من الطرائف التى جمعها من أهل القاهرة . وفى إحدى هذه الطرائف يقول « لينبول » : ان فقيها حكيماً كان ينصح رجلاً قاهرياً فقال له : « إذا أقدمت على اتخاذ قرار خطير فعليك أولاً أن تستشير « عشرة » من أصدقائك المخلصين ، فإن لم تجد فعليك أن تستشير « خمسة » من الأصدقاء كل واحد منهم مرتين ، فإن لم تجد فعليك أن تستشير صديقاً مخلصاً « واحداً » عشر مرات .. فإن لم يكن

لديك أصدقاء مخلصون إطلاقاً فعليك فى هذه الحالة أن تستشير زوجتك « وتعمل بعكس ما تقول » .. !!

ومن الغريب أن هناك مثلاً شعبياً قديماً يرجع تاريخه إلى عصر المماليك .. أى إلى أكثر من ٧٠٠ سنة .. يدور حول نفس المعنى .. وهو على شكل نصيحة للرجال بالنسبة لمشورة النساء . ويقول المثل : «شورهم وخالف شورهم » . ومن الواضح أن منطوق هذا المثل جاء باللهجة العامية الشائعة بين أهل مصر . وحتى يكون هذا المثل مفهوماً لكل العرب ولكل الناطقين بالضاد من غير العرب ، فإن نصه بالعربية الفصحى هو : « استشرهن وخالف مشورتهن » .. مفهوم ؟!

ويبدو أن هذه النصيحة صالحة بالفعل فى كل زمان .. خصوصاً فى هذه الأيام بالنسبة للرجال الذين نصحتهم زوجاتهم أو النساء الأخريات من ذويهم بأن يضعوا فلوسهم فى شركات « تضييع » الأموال . وهى الشركات التى ابتدعها فى مصر مجموعة من الأذكياء الطموحين إلى سلب ما فى جيوب المصريين من أموال ، ثم تكشفت الحقيقة وراح الذى راح .. ومن لم يستطع منهم الفرار هرباً إلى الخارج ليلحق بالأسلاب التى هربها ، ظل فى مصر المحروسة ليلعب مع القانون لعبة القط والفار .

أما المساكين الذين ضاعت أموالهم ، فما زالوا متمسكين بأمل ضئيل فى استرداد بعض أموالهم ولو كان أقل القليل .. وهم يتجمعون بعشرات

الآلاف وأحياناً بمئات الآلاف على أبواب تلك الشركات التى ضيعت أموالهم ، وذلك قبل أن تشرق الشمس أو تبزغ الغزالة من خدرها ، وينتظرون هناك بعضاً من أوهام الفرج حتى تغيب الشمس وراء الأفق .

وفى هذه التجمعات اليائسة تتردد تعليقات الندم ونهنهات النحيب والبكاء وآهات اللوعة ، مختلطة بأغرب ما يمكن أن تسمعه أُذُن من قصص وحكايات .. وإليكم بعض العينات .

يقول رجل وقور وهو يحبس دموع عينيه :

ــ الفلوس كانت معانا فى أمان الله .. فضلت المدام تقول لى نحطها عند الناس دول .. والميت ألف بعد أربع سنين حيبقوا متين ألف .. انت يا راجل مجنون تسيب الفرصة دى .. وسمعت كلامها لانى عبيط ومجنون.

فيرد عليه رجل آخر أكثر وقاراً وأكثر لوعة :

ــ أنا كنت ناوى أبنى بيت .. فضلت الحاجة تقول لى بيت إيه وهباب إيه .. دى الأرباح هنا ٢٤ ٪ .. مش حنعرف نجيب زيهم حتى ولو بنينا عمارة .. لكن برضه أنا اللى غلطان .

ويتدخل فى الحديث رجل ثالث :

ــ والله أنا كنت حاسس من الأول .. وقلت لها دول ناس نصابين .. قالت استغفر ربك إن بعض الظن اثم .. عيب على مظاهر الصلاح

والورع والجلابية والطاقية اللى هما لا بسينها والدقن اللى طول كده .. وآدى آخرتها !

ويقول أحد الصابرين بعد أن نفد صبره :

ــ احنا كنا وارثين حتة أرض .. جت أختى الكبيرة وقالت نبيع الأرض ونحط فلوسها عند زفت الطين ، وأهى ضاعت الأرض وضاعت الفلوس ..

قصص وحكايات كثيرة تدل على أن جميع هؤلاء الرجال لو كانوا قد عملوا بعكس مشورة نسائهم ، لنجوا من العذاب والضياع .. الأمر الذى يؤكد أن المثل الشعبى القائل « شورهم وخالف شورهم » هو مثل صحيح وله نتائج مضمونة .

ولكن العيب الوحيد فى هذا المثل هو أن تفطن إليه النساء القادرات على المكر والكيد والدهاء .. فإذا كانت الواحدة منهن تريد أن تقول « يمين » فإنها تتحايل وتمكر وتقول « شمال » .. وعندما يعمل رجلها بعكس هذه المشورة « الشمال » فإنه سيعمل « يمين » .. وهذا هو مرادها وما كانت تهدف إليه منذ البداية .. لذلك أرجوكم أن تفتحوا أعينكم بطريقة جيدة .. وتخلوا بالكم .. والستر من عند الله .. !

الحبل وسنينه !

الحبل [بفتح حرفى الحاء والباء] فى اللغة العربية الفصحى هو الحمل . ويقال حبلت المرأة فهى « حابلة » أو « حبلى » وهن حابلات أو حوابل أو حبالى .. هه .. مبسوطين ؟!

والحبل أمره معروف لبنى الانسان والحيوان ، وطريقته سهلة وجيدة .. وهو الوسيلة الوحيدة التى تتجدد بها الحياة وتستمر ، كما أنه أول خطوة فى طريق الإنسان إلى المقبرة ، ومنها إلى الجنة أو إلى جهنم بعد عمر طويل أو قصير يقضيه فى هذه الدنيا التى يسميها كثير من البلغاء باسم « دار الفناء » لكل ما على الأرض من أحياء ..

والنساء فى جميع أنحاء العالم يحبلن ويلدن سواء بالليل أو بالنهار . وقد يكون من الصعب أن نعرف ماذا تصنعه النساء الأجنبيات حين يحبلن .. وأغلب الظن ان كل شىء يمر بهدوء ومن سكات ، ثم يضعن أنفسهن تحت رعاية الأطباء ومستشفيات الولادة حين تحين ساعة الوضع بعد مرور تسعة أشهر من حدوث الحادث السعيد الذى أدى إلى مثل هذه النتيجة ..

أما المرأة المصرية فلها مع الحبل قصص وحكايات وطقوس ومراسم وعادات .. ولها معه أيضاً دموع وآهات ..

ومن أهم ما تتميز به المرأة المصرية أنها « تتدلع » كثيراً عندما تحبل .. وهى تبدأ عادة بالمراسم الكلامية فتظل تقول آه يا بطنى .. آه يا ضهرى .. آه يا وسطى .. يقطع الحبل وسنينه .. إلى أن يقتنع زوجها أخيراً بأداء عملية غسل الصحون وغسل الملابس ونشر الغسيل وتطبيقه وطبخ الطبيخ وكنس الصالة وبقية الحجرات وتنفيض الشبابيك .. بينما هى سعيدة بكل ذلك ولا تقوم من أمام التليڤزيون حتى ولو كان مغلقاً .

وحتى تحبك دورها تماماً تدعى بأنها إذا تحركت فسيحصل إجهاض.. ولذلك فلابد أن تذهب أسبوعياً إلى الدكتور .. وهى تكتفى غالباً بدكتور واحد يحصل من زوجها على عشرات الجنيهات خلال فترة الحمل ومئات الجنيهات عند الولادة والرضاعة والفطام ..

وتبدأ المتاعب الحقيقية للزوج حين تصر « الحابلة » أو « الحبلى » على استدعاء أمها لتقيم معها فى بيت الزوجية .. وباقى هذه الحكاية لا يحتاج إلى شرح فهو معروف للجميع .

ثم تشتد المتاعب وتبدأ الكروب والمصائب حين تدعى بأنها «بتتوحم» .. والوحم كما هو معروف عادة نسائية شعبية ، ابتدعتها المرأة المصرية بذكائها الفطرى العظيم .. لتتخذ منها اختباراً وامتحاناً لمدى معزتها لدى زوجها المسكين .. وذلك بعد أن استقر فى أذهان الشعب

المصرى من الرجال أن من أهم المهام وأكثر الضروريات ضرورة أن يلبوا أية طلبات تطلبها الزوجة حين تتوحم .

ووضعت المرأة المصرية فى عقل الرجل المصرى أنه إذا تقاعس أو صهين عن تلبية طلب الزوجة « المتوحمة » فسوف يحدث الثبور وعظائم الأمور .. وسينعكس تقاعسه هذا على المولود البرىء المنتظر ..

وغالباً ما تتوحم المرأة على أشياء من الصعب الحصول عليها بالنسبة للزوج أو تجعله ينفق مالاً أو يقوم بمهمة .. وبالرغم من كل الصعاب التى تعترض طريق الزوج فى الحصول على ما تتوحم عليه زوجته الحبلى فإنه يرضخ فى النهاية ولابد أن يحقق المطلوب وإلا ..

فإذا توحمت الزوجة على « قرد » مثلاً فلابد أن يصحبها إلى نزهة فى حديقة الحيوان لترى كل ما فيها من قرود .. أو يصحبها إلى أقرب مولد يكون فيه قرداتى درب قرده خير تدريب .. وذلك خوفاً من أن ينعكس وحم الزوجة على ما فى بطنها فتلد له « قردة » أنثى أو قرداً ذكراً .

وفى أكثر الأحيان تراعى الزوجات الحبالى العطوفات حالة الزوج المالية فتطلب منه أشياء بسيطة كأن تقول « نفسى آكل منجه » وهو وحم ينتشر فى بدايات موسم المانجو حين يكون الكيلو بعشرين جنيهاً .. أو تقول « عايزة برقوق » إذا كانت من النساء الشعبيات الفقيرات اللاتى يعرفن أن « البرقوق » بالنسبة لأزواجهن من الكادحين يعتبر أمراً عسير المنال وصعب الشراء .. وفى جميع الأحوال يرضخ الأزواج لهذا الطلب

ويحضرون المطلوب خوفاً من أن يصبح أنف المولود مثل « المنجاية » أو تظهر فى عينه « برقوقة » .

أما كبرى المصائب فتحدث حين تتوحم المرأة على « الجمبرى » .. وهو ـ من الناحية العلمية ـ عبارة عن حيوان قشرى من فصيلة «الأربيان» يعيش فى المياه المالحة والمياه العذبة فى المناطق الحارة والمناطق المعتدلة . ومن الناحية التجارية فإن الكيلو الواحد منه أصبح يباع الآن بخمسين جنيهاً فى الأحياء الشعبية وبنحو مائتين وخمسين جنيهاً فى بعض الفنادق الراقية . أما من الناحية الإحصائية فهذا الثمن يساوى مرة وربع من المرتب الشهرى لخريج الجامعات المصرية إذا وجد عملاً ببداية مربوط ، أو يساوى ثمن سيارة جديدة فى فترة الأربعينات من هذا القرن .

ومن الناحية التاريخية فإن الجمبرى كان فى الماضى طعاماً للفقراء والمساكين لأن الأقة الواحدة [وهى نحو كيلو وربع] كانت تباع بقرشين أو بخمسة تعريفة على أكثر تقدير . وكان بائع الأسماك النيئة يكرم زبونه باعطائه كبشتين أو ثلاث كبشات من الجمبرى فوق البيعة التى لا تتجاوز أقة أو أقتين من السمك .

ولذلك ، ففى أيامنا هذه ، أصبح الوحم على الجمبرى من الأشياء الصعبة التى لا تتحقق بسهولة فى أغلب الأحوال .. ويضطر الزوج فى النهاية ومهما كانت العقبات أن يلبى طلب زوجته المتوحمة ويحقق لها

المراد .. وهو يأمل فى جميع الأحوال أن تتكرم عليه زوجته حين تلتهم المطلوب وتعطيه جمبريايه أو جمبريتين فيأكلهما على عشرين قضمة برغيف حاف .. وقليل من الدقة ..!

أما إذا كان الزوج موسراً وربنا فاتحها عليه بشكل أو بآخر .. ففى الغالب أن تتوحم زوجته على « سيارة » فيشتريها لها على الفور حتى لا يطلع المولود « لص سيارات » ..

وهكذا .. فبمثل هذه الحيل .. وتحت ستار « الوحم » استطاعت المرأة المصرية الحبلى ـ منذ آلاف السنين وحتى الآن ـ أن تقنع الرجل المصرى بطريقة لطيفة وحاسمة أنها تستطيع أن « تطلب » وأن عليه أن يلبى « الطلب » ... وإلا ... !!!

أما مشكلة المشاكل المعقدة والمستعصية فتتمثل فى الجانب السياسى لعملية « الحبل » وما يعقبها من ولادة .. فالمرأة المصرية إذا حبلت الآن فإنها تتسبب فى زعل الكثير من أجهزة الدولة والحكومة والجهات الرسمية خصوصاً بالنسبة للجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء الذى يشرف على عمليات « التعداد » .. وستتألم وزارة التعليم والتعليم العالى حين تدبر مكاناً فى المدارس والمعاهد والكليات لكل مولود تلده حبلى .. وسيكون أكثر المتألمين ألماً وزير التموين الذى يدبر بالبطاقة طعاماً لكل فم .. أما بالنسبة لجهاز تنظيم الأسرة وتحديد النسل فسوف يزداد شعوره بالعزلة ومعاناة الوحدة .. وربما ييأس فى النهاية ويقول مع القائلين : « مفيش فايدة » !

أسئلة هامة :

بالإشارة إلى ما ورد عاليه من حديث الجمبرى .. أسألكم وأرجو أن تجيبونى بصدق ..

هل ذقتم الجمبرى فى العصر الحديث ؟! .. هل أكلتموه سواء أكان مقلياً أو مشوياً أو مسلوقاً ؟! .. وهل عصرتم عليه الليمون البنزهير أو أكلتم معه باذنجاناً مخللاً ؟! ..

استحلفكم بالله .. هل توجد « لذة » ألذ من ذلك فى مثل هذه الدنيا الفانية .. ؟!

لا أعتقد .. !!

قصة للأطفال الرُضّع :

حوار بديع .. مع طفل رضيع .. !

أعرف منذ البداية أن كثيرين لن يصدقوا هذه القصة .. ولكنى أعرف فى الوقت نفسه أن الكثيرين من المتفهمين سيفهمون ..

بدأت الحكاية عندما أخبرونى بأن إحدى قريباتى قد وضعت مولوداً أسموه على إسمى تيمناً وبركة .. واضطررت لذلك أن ألبى دعوة الحضور إلى حفل « السبوع » الذى أقيم فى بيت المولود ..

وانطلق أطفال الأسرة من أولاد وبنات فى إنشاد النشيد الخالد الذى ينشد فى هذه المناسبة والذى يقولون فيه بأصوات منغمة : « حلقاتك .. برجالاتك » ومن المؤكد أن الجميع لا يعرفون إطلاقاً معنى كلمة «برجالاتك» هذه .. ولكن للضرورة أحكام .. !

وقامت إحدى سيدات الأسرة بوضع المولد الصغير فى غربال .. وقامت سيدة أخرى بدق « هون » من النحاس بإيقاع مجلجل رتيب وهى تصيح فى وجه المولود : « اسمع كلام أمك .. واسمع كلام أبوك » .. [وصحتها أبيك طبقاً لقاعدة المضاف والمضاف إليه] .. !

وقد لاحظت أن المولود كان لا يهتم إطلاقاً بكل ما يجرى ، وظل صامتاً لا ينطق بكلمة .. إلى أن قدموه لى لكى أحمله وأقبله ..

وما أن حملته بين ذراعى وهممت بضمه إلى صدرى .. حتى لاحظت أنه غمز لى بعينه اليمنى غمزة ذات مغزى عميق .. ولم أندهش كثيراً لعلمى المسبق بأن بعض المواليد الصغار يعملون بعض الحركات التى لا يفهمها أحد .. ومع ذلك فقد غمزت له بعينى اليمنى بطريقة أسأله فيها عما يريد ..

وعلى الفور قام المولود بتحريك يديه وقدميه حركتين متتاليتين فهمت منهما أنه سعيد بأنى تجاوبت معه من أول نظرة .. وعندئذ غمز لى بعينه اليسرى غمزة فهمت منها أنه يريد الانفراد بى قليلاً وبعيداً عن تلك الدوشة وصياح الأطفال الكبار .. ولكى أتأكد من ذلك غمزت له بعينى اليسرى أسأله هل يقصد ذلك حقاً ؟ .. فأجاب بإشارة صريحة بأنه يريد ذلك فعلاً .. وعلىّ أن أحمله إلى إحدى الحجرات الخالية ..

وما أن دخلت إلى تلك الحجرة حتى قال لى بصريح العبارة : أغلق الباب .. وأجب على أسئلتى بسرعة قبل أن يفسدوا علينا الخلوة ..

قلت : اسأل ما تريد ..

قال : انتو عددكم كام .. ؟

قلت : انتو .. مين قصدك ؟

قال : انتو .. رد بسرعة بلاش عبط !

قلت : آه إحنا ؟! .. إحنا ٥٨ مليون .. وبنزيد مليون واحد زيك كل تسعة شهور !

قال مندهشاً : يا نهار أسود .. وبتعملوا إيه عشان تزيدوا الزيادة دى كلها ؟

قلت : ولا حاجة .. هى بتيجى كده .. بكره حتعرف .. !

قال : طب وبتفطروا إيه الصبح ؟

قلت له : فول ..

قال : وبتتغدوا إيه الضهر .. ؟

قلت : انت وحظك .. ساعات كباب وساعات كشرى .. وغالباً طبيخ أو محشى !

قال : وبالليل .. بتتعشوا إيه .. ؟

قلت : دى تتوقف على عدة اعتبارات .. ممكن تتعشى فى خمس نجوم .. وممكن تتعشى فول .. على العموم ما عندناش حد بيموت من الجوع ..

قال : وعندكو طعمية ؟

قلت : كتير ..

قال متنهداً : الحمد لله .. هيا أعدنى إلى أمى ..

قلت محتجاً : لا .. لن أتركك حتى نواصل هذا الحوار الممتع .. أنا أعرف أن لديك أسئلة أخرى كثيرة .. هيا .. أفصح عما تريد وقل لى بصراحة قصدك إيه .. !

قال بحسم وحزم : قلت لك أعدنى إلى أمى لكى « تهشكنى » .. أنا أريد أن أنام .. !

قلت معترضاً : مفيش نوم .. لازم أعرف رأيك فى السياسة الخارجية..

قال محذراً : وطى صوتك .. يحسن يفتكروك اتجننت وبتسأل طفل رضيع مثلى عن رأيه فى السياسة الخارجية ..

قلت بإصرار : لا .. لازم أعرف رأيك !

فقال بهدوء : إن شاء الله السنة الجاية حيكون عمرى سنة .. وحأكون اتعلمت التهتهة .. وعندئذ سأقول لك رأيى وأرجو أن تفهمه ..

قلت : طب ولما تكبر عاوز تشتغل إيه ..

قال : سباك .. أو ربما صاحب شركة سباكة !

قلت : اشمعنى .. سباك ؟

قال : لأنى أعانى من مشكلة الصرف الصحى .. وأنا كما تعلم «أعملها» على نفسى ليل نهار كعادة الأطفال الصغار ومن هم فى مثل سنى ..

قلت : طب ايه رأيك فى البرد وثقب الأوزون ..

عندئذ انفجر المولود الصغير باكياً بصوت « مسرسع » ومتواصل .. وهى الطريقة المعتادة التى يلجأ إليها هؤلاء الصغار للتعبير عن أنفسهم ولإثبات ذواتهم ..

وفى لمح البصر أسرعت الأم إلى الحجرة التى دار فيها هذا الحديث بينى وبين ابنها .. وأخذت الطفل منى وأخذت تهدهده و«تهشكه» بحنان ، ولكن الطفل غمز لى بعينيه الاثنتين وواصل البكاء والصراخ ، واضطرت الأم عندئذ أن تسد فمه ببزازة .. ونظرت إلى معاتبة وقالت :

ـ كده سرعت الواد ؟!!

بلم
إنتخبوا فلان الفولانى
منكم
و
إليكم

صناعة الزفّات .. فى موسم الانتخابات

منكم .. وبكم .. وإليكم .. و .. عليكم !

عندما تعلق لافتات القماش فى عرض الشوارع .. وعندما تلصق صور « المرشحين » واعلاناتهم على جدران البيوت والعمائر .. وعندما تدوّى الهتافات التافهة الرنانة فى أسماع الناس فتثير فيهم رغبات السخرية .. عندئذ يعرف الجميع أن موسم الانتخابات قد بدأ .

وللانتخابات فى بلدنا عادات وطقوس .. وخطب ودروس .. وتوزيع للوعود والفلوس ..

ومن الغريب والعجيب أن الناس جميعاً .. الأذكياء منهم والبسطاء .. يعرفون الحكاية من البداية إلى النهاية .. ويقول بعضهم أن الحكاية لعبة لها لاعب وملعوب .. بينما يقول البعض الآخر أنها فرصة قد تؤدى إلى تحقيق مصلحة أو نفع مرغوب .

ومن أهم طقوس الانتخابات فى بلدنا عملية شهيرة يقوم بها المرشحون ومن يؤيدونهم من الأتباع ، المخلصين منهم والمأجورين .. هى عملية « الزفة الانتخابية » .. وهى عملية فى غاية الضرورة والأهمية

.. بل ويقال أن بدونها لن يكون للانتخابات طعم الانتخابات ، ولن يصل المرشح بالتالى إلى الكرسى الذى سيجلس عليه فى المجلس المرموق .

والزفة الانتخابية تختلف طبعاً عن الزفة العادية .. فيقال فى اللغة العربية زُفَّت العروس زفافاً بمعنى نقلت من بيت أبويها إلى بيت زوجها .. كما يقال زُفَّت العروس فى زفة بمعنى أنها سارت وسط جمع من الأهل والمعارف والجيران ، بعضهم رجال وأغلبهم نساء وعيال ، وغالباً ما تشترك فى الزفة فرقة من صناع الصخب والدوشة يدقون الدفوف ويقرعون الطبول ويلعبون بالمزامير أو ينفخون فى النفير ..

أما الزفة الانتخابية فهى من نوع خاص ، وإن كان لها عدة أنواع وأشكال تختلف باختلاف قدرات المرشحين على دفع التكاليف لفرقة المؤيدين من الطبالين والزمارين والصائحين بالهتافات .

بعض المرشحين يفضلون السير وسط جماعة من الهتّيفة المستأجرين الذين يؤلفون لهم هتافات مسجوعة بطريقة مسموعة ، تتناسب مع أسمائهم وأسماء آبائهم .. ومع ذلك فهى تكاد أن تكون موحدة النمط ، ويعرفها جميع الهتيفة فى طول البلاد وعرضها .. تنتخبوا مين ؟ .. فلان حسين .. وحبيبكم مين ؟ .. فلان حسين .. ونايبكم مين ؟ .. فلان حسين .. والراجل الجد ؟ .. فلان حسين .. وهكذا .

وهناك مرشحون آخرون يفضلون هتاف : ابن الدايره .. فلان حسين

.. والمقصود بالدايره هنا هى الدائرة الإنتخابية التى رشح فيها المرشح نفسه .

وهناك صنف آخر من المرشحين يعملون لأنفسهم زفة من نوع خاص ، حيث يستأجر فرقة شعبية من عازفى « الدربكّة » والمزمار الصعيدى .. ويمشى الهوينى فى حوارى الدائرة وشوارعها .. ومن حوله جماعة من الهتيفة الهائجين يصرخون ويزعقون للفت الأنظار والأسماع إلى ابن الدايره الذى رشح نفسه فى الإنتخابات .

ويدور الموكب ويلف على قهاوى الحى ، حيث يقوم المرشح بالتحية والتسليم على جميع زبائن القهوة زبوناً زبوناً بتواضع شديد وابتسام عريض ، ويذكرهم بيوم الانتخابات ، وبأن رمزه الانتخابى هو الحمار أو الفيل أو زلومة .

وإذا كان المرشح حسن الحظ ، فقد يجد فى أحد شوارع الحى «سرادقاً» أقيم للعزاء فى أحد المرحومين .. وعندئذ يدخل المرشح إلى السرادق لتقديم واجب العزاء بعد أن يطلب من الهتيفة السكوت وادعاء الحزن .. وقد يقوم المرشح بإراقة دمعة أو دمعتين عندما يواسى أهل الميت .. ويقول لهم أن المرحوم كان من أعز أنصاره .. وأنه لو عاش حتى يوم الانتخابات لكان أول المترددين على لجنة الانتخابات ليزكيه ولينتخبه مرتين على أقل تقدير .

وعندما يقترب يوم الانتخابات الموعود .. تكثر إقامة السرادقات التى

توزع فيها أكواب الكركديه ، مقابل الاستماع إلى الخطب العصماء التى يلقيها المرشح أو مؤيدوه .. ومن الضرورى أن يحضر المرشح معه واحداً من المشهورين لجذب الأنظار .. وقد يكون هذا المشهور من رجال السياسة أو من لاعبى الكرة أو نجوم السينما [آل يعنى المرشح معروف لهؤلاء .. أو أن هؤلاء يؤيدونه حتى ولو كانوا من غير أبناء الدائرة] .

وفى العادة تتضمن الخطبة التى يلقيها المرشح عدداً لا بأس به من الأخطاء النحوية وتكسير القواعد اللغوية .. بالإضافة إلى كم هائل من الوعود لزوم الضحك على ذقون الناس .. كأن يعد أهل الدائرة الذين سينتخبونه بأن يكون لكل واحد منهم بيت من القزاز .. وسيارة آخر طراز .. ومروحة وثلاجة وبوتاجاز .

أما الشعار المفضل لدى جميع المرشحين ، فهو شعار يتكون من ثلاث كلمات هى : منكم .. وبكم .. وإليكم .. وبطبيعة الحال فإنهم لا يذكرون الكلمة الرابعة .. وهى كلمة .. وعليكم !!

لائحة تأديب النواب

ضقنا ذرعاً وكنا نشمئز قرفاً من الأخبار التى ظللنا نقرأها منشورة بالصحف أو نسمعها نقلاً عن الآخرين والتى تتناول السلوكيات الفردية المعيبة لبعض أعضاء « مجالس » الشعب وغيره من المجالس النيابية أو الشعبية الأخرى ..

نواب كان ينامون أثناء الجلسات ولم ينطقوا إلا بكلمة « نعم » أو بكلمة « موافقين » .. ونواب يوقعون فى دفاتر الحضور عن نواب مزوغين ، وذلك طمعاً فى الحصول دون وجه حق على نصيبهم من الجزية .. والذين كانوا يتسابقون للحصول على موافقة الوزراء على تحقيق طلبات أبناء الوطن التى قبضوا أتعابها المعلومة .. والنواب الذين كانوا ينصرفون من قاعة المجلس قبل أو بعد أن تبدأ الجلسات .. وسمعنا كثيراً عن نواب كانوا يتاجرون فى المخدرات والممنوعات .. والذين كانوا يستخدمون الحصانة للتستر وراءها لارتكاب كل آثام وجرائم اقتناص المغانم واستغلال النفوذ .. وسمعنا ورأينا الضرب بالأقلام وزغد الأكتاف بالكيعان والبصق فى الوجوه وبذاءة الردح وسب الأب والأم

والاتهام فى الأعراض وعمل الإشارات الجنسية المنحطة بالأذرع وأصابع اليد .. !

لقد قرفنا من ذلك كله ومن غيره من مظاهر التمثيل النيابى السيىء وسلوكيات النواب السيئين .. وأصبحنا نتطلع ونبتهل إلى الله أن نرى قبل موتنا نواباً شرفاء مؤدبين يتمسكون بمبادىء العفة والأمانة والأخلاق الرفيعة والسلوك القويم .. ويؤمنون بأن التمثيل النيابى تشريف لهم لتصدرهم لخدمة الوطن وخدمة الناس ، وليس مغنماً «محمياً» يساعدهم فى تحقيق الثروات المشبوهة والحصول على المنافع والمزايا الشخصية لزوم الوجاهة « والقنزحة » وافتعال أهمية الذات والمركز ..

وإذا جئنا للحق ، فلن يتحقق انضباط سلوكيات السادة النواب إلا إذا تغيرت لائحة الجزاءات المفروضة على اساءة استخدام العضوية ، وأضيفت إليها مواد مبتكرة جديدة ستقطع بإذن الله دابر أية مخالفة ، وستجعل الأعضاء منضبطين آخر انضباط .. وعلى سبيل المثال لا على سبيل الحصر ، نقدم اقتراحاً بإضافة بعض أو كل المواد التالية :

مادة : ممنوع النوم بتاتاً فى مقاعد مجلس الشعب وإذا ضبط النائب نائماً تدلق على رأسه فوراً زجاجة كاملة بها ماء مغلى كما توضع فى قفاه قطعة من الثلج .. ويصور هذا المشهد تليڤزيونياً وتذاع حلقاته ضمن برنامج ابتسامة ..

مادة : ممنوع التزويغ نهائياً بجميع أشكاله .. ولا يجوز لأى نائب أن

يوقع فى دفتر حضور الجلسات بدلاً من نائب آخر مزوغ .. وإذا ضبط النائب وهو يرتكب جريمة الغش هذه يضرب على ظهر يده التى وقع بها عشرين ضربة بسن المسطرة وفى عز البرد ، أمام زملائه من النواب الآخرين الذين لم يضبطوا بعد ، ليكون لهم نذيراً وعبرة .. وتصور عملية الضرب تليڤزيونياً وتذاع ضمن برنامج « نافذة على العالم » حتى يعلم العالم كيف يعامل النائب الغشاش ..

مادة : فى حالة العود .. واستمرار النائب فى التوقيع بدلاً من زملائه المزوغين يوضع النائب المذكور ووجهه إلى الحائط المجاور للمنصة ويرفع يديه لفوق بجوار زملائه من النواب العائدين إلى ارتكاب هذه الحماقة .. ويصور الجميع تليڤزيونياً وتذاع هـذه المشاهد ضمن برنامج «سلوكيات » .. وفى جميع الأحوال يعد دفتر حضور خاص لهؤلاء النواب لا يتضمن سوى أسمائهم ويقومون بالتوقيع فى الخانات المخصصة لهم تحت رقابة البوليس أو حرس البرلمان .

مادة : لا يجوز بأى حال من الأحوال تمييز النائب عن غيره من أبناء الشعب ، وذلك فى أولويات الحصول على السيارات والثلاجات والبوتاجازات والڤيديوهات والتليڤزيونات والشقق الرخيصة الإيجار .. كما يحظر أخذ أية عينات مجانية من هذه الأشياء جميعاً .. ويعاد النظر فى الميزات الاستثنائية والابونيهات المجانية التى يحصل عليها النواب بلا ضابط أو رقيب .. وفى حالة رغبة النائب فى الحصول على شىء من هذه الأشياء فليكن ذلك بفلوسه الحلال ..

مادة : ممنوع منعاً باتاً التعامل بأى شكل من أشكال المعاملات فى المواد التالية : المخدرات بجميع أنواعها .. الممنوعات الأخرى كالحشيش والأفيون .. أذونات الحصول على بضائع غير ممنوعة شرعاً كالأسمنت وحديد التسليح والأخشاب والزجاج والأدوات الصحية وغير ذلك من المواد المربحة .. كما تمنع المتاجرة أيضاً بالأشياء المعنوية كالشعارات الممجوجة وأبرزها شعار « رفع المعاناة عن الجماهير » فقد قرفنا منه وسئمه الناس .

ويعاقب النائب الذى يرتكب أية جريمة من جرائم المتاجرة فى الممنوعات المشار إليها آنفاً باجباره على شم مخدراته كلها أو أكلها كلها وذلك أمام جمهور عام من أهالى دائرته الذين انتخبوه واتاحوا له فرصة التمتع بالحصانة .. كما يعاقب هؤلاء الناخبون أيضا بحرمانهم من ممارسة حق التصويت حتى يتوبوا عن انتخاب تجار المخدرات والممنوعات مرة أخرى .. وتصور هذه المشاهد كلها وتعرض فى برنامج «عالم الحيوان » .

مادة : يحظر على كل نائب إن يتلفظ داخل المجلس بأى لفظ بذىء أو التحدث بلغة الحوارى أو عمل أية حركات أو اشارات منحطة سواء بالحاجبين أو بالذراعين أو بأصابع اليد .. ويعاقب النائب الذى ينحط إلى هذا المستوى بضربه قلمين بكف اليد على خديه من الناحيتين ويكون ذلك أمام شهود من أهل المجلس ، ولا تذاع هذه الفقرة فى التليڤزيون منعاً لانتشار عروض القباحة وقلة الأدب .

مادة : لا يجوز للنائب أن يصفق أكثر من عشرة آلاف وخمسمائة تصفيقة فى الدورة البرلمانية الواحدة .. ويستخدم الكومبيوتر فى عد مرات التصفيق ومراقبة النواب الذين يصفقون عمالاً على بطال .. وإذا تجاوز النائب عدد مرات التصفيق المسموح بها فيعرض أولاً على لجنة طبية متخصصة لفحص غدد وخلايا التصفيق فى يديه ، فإذا وجدت سليمة وثبت طبيا أن النائب يمارس التصفيق كعادة يدفعه إلى ممارستها حرصة على النفاق أو الخوف من ضبطه وهو لا يصفق لكل صغيرة وكبيرة ، فلا يسمح لهذا النائب المتجاوز بحضور الجلسات إلا بعد تكتيف يديه ووضع البلاستر على فمه حتى لا يهتف !

● ● ●

وقد يري بعض القراء فى هذه المقترحات الخاصة بتعديل لائحة جزاءات النواب نوعاً من الهزار أو الترويح عن الأنفس المكدودة .. ولكنى على يقين بأن قراءً آخرين كثيرين سيرون فيها « الحل » الوحيد والأمثل لإيجاد مجلس شعب منضبط غير مفلوت العيار .. يستمر حتى نهاية مدته القانونية التى نص عليها الدستور دون أن يستثير غضب القرفانين وسخط المشمئزين ..

كوز الإنتاج
وخشبة الإنتاج البيضاء

من البدع التى ابتلينا بها فى السنوات الأخيرة بدعة موسمية تسمى كؤوس ودروع الانتاج .. وهى بدعة تمارس فى أواخر العام من كل عام ولها شأن كبير فى وسائل الاعلام من صحافة وتليڤزيون ..

فى هذا الموسم السنوى تنتشر صور رئيس الوزراء وهو يسلم على رؤساء مجالس إدارة كل ما فى البلاد المصرية من بنوك وشركات ومصانع ، يداً بيد ، ويسلم كل واحد منهم شيئا معدنيا لامعاً يسمى « كأس الانتاج» أو شيئاً آخر مصنوعاً من الخشب يسمى « درع الإنتاج » .. !

وقد ظهرت هذه البدعة فى مصر منذ عشرين سنة .. وبالتحديد سنة ١٩٧٠ بناء على قرار جمهورى يسمى القرار رقم ٥٨٤ .. ومن يومها نشطت مصانع الكؤوس والدروع فى مصر لتوفير هذا العدد الهائل من هذه الكؤوس والدروع التى تـوزع كل عـام على جميع الفائزين فى ميدان « الإنتاج » .. والغريب فى الأمر أن جميع البنوك والشركات والمصانع تفوز بكؤوس ودروع الإنتاج مرة كل عام ..

والحكاية ببساطة أن القرار المذكور يؤلف لجنة سماها « اللجنة العليا لحوافز العمل والإنتاج » ..

وتتكون هذه اللجنة العليا برئاسة وزير القوى العاملة ومن كبار كبار المسئولين بوزارات الحكومة واتحاد الصناعات المصرية ..

ومن المعروف بيروقراطياً أنه مادامت هناك لجنة .. فلابد لهذه اللجنة أن تجتمع .. فما بالنا إذا كانت اللجنة عليا .. وتتكون من كل هؤلاء المسئولين .. ولابد لها فى النهاية من إصدار قرارات .. ولابد لهذه القرارات أن تنفذ مادامت مفرحة وتعمل زيطة وفيها ما فيها من نفاق وإنفاق ..

وقرب نهاية كل عام تجتمع هذه اللجنة وهات يا بحث .. وهات يا فحص .. فى كشوف تتضمن أسماء وعناوين جميع البنوك والشركات والمصانع والوحدات الإنتاجية العاملة على أرض مصر .. لسبب وجيه هو ضرورة توزيع الإنتاج السنوى المتزايد من الكؤوس والدروع على كل رؤساء مجالس إدارة هذه الجهات جميعها ..

وقد وضعت هذه اللجنة العليا مجموعة من المعايير والضوابط لتوزيع الكؤوس على أصحاب الكؤوس .. وتوزيع الدروع على أصحاب الدروع .. وبطبيعة الحال تتدخل الخواطر فى ضبط المعايير ، ومعايرة الضوابط .. والمهم أن يفوز الجميع بكؤوس الإنتاج ودروع الإنتاج ..

وبعد أن تعلن النتيجة المفرحة يقام حفل كبير جداً لتوزيع هذا الكم الهائل من الكؤوس والدروع على السادة رؤساء مجالس الإدارة الفائزين .. وفى الحال يزدهر سوق المصورين بكافة تخصصاتهم كمصورى السينما

والتليڤزيون والفيديو ومصورى الصحف والمجلات والمصورين الفوتوجرافيين المحترفين العاديين .. وهات يا تصوير بالألوان وبالأبيض والأسود .. كما يزدهر فى الوقت نفسه سوق شركات الإعلان ..

ويقوم الجميع بتسجيل العملية الخالدة بجميع طقوسها وخطواتها وحركاتها ، منذ لحظة قيام السيد الدكتور المهندس المحاسب الكيميائى اللواء رئيس مجلس إدارة الجهة الفائزة من على كرسيه ، وتقدمه بخطوات حثيثة ، وصعوده إلى المنصة ومد يده لمصافحة السيد الدكتور رئيس الوزراء ، ومد يده الأخرى لاستلام الكأس أو الدرع المخصص له ..

وبعد ذلك يتم نشر جميع هذه الصور فى جميع وسائل الإعلام كإعلانات تدفع فيها ملايين الجنيهات .. حيث تتفاخر جميع البنوك والشركات والمصانع والوحدات الإنتاجية بما فازت به من كؤوس أو دروع الإنتاج .. وهكذا ينتهى المولد بلا حمص ..

وما دام هناك علم اسمه « المحاسبة » فدعونا نقوم بالحسبة التالية ونجمع أرقامها :

● حصر أعداد ما تم توزيعه من كؤوس الإنتاج ودروع الإنتاج على الفائزين من سنة ١٩٧٠ وحتى الآن .

● تكاليف صناعة الكأس أو الدرع مضروبة فى إجمالى عدد الكؤوس والدروع ومضروبة فى عشرين سنة .

● تكاليف حفل المولد الذى يقام كل عام لتوزيع الكؤوس والدروع مضروبة فى عشرين سنة .

● تكاليف الإعلانات التى دفعت للتليڤزيون وسائر الصحف والمجلات المصرية نظير نشر هذه الإعلانات فى ربع صفحة أو نصف صفحة أو صفحة كاملة .. وذلك منذ ظهور هذه البدعة وحتى الآن .

● قيمة الوقت الضائع فى هذا المولد خصوصاً وأن المشتركين فيه مسئولون كبار يقبضون مرتبات عالية .

وإذا حسبنا هذه الحسبة بدقة سواء باستخدام العد اليدوى أو باستخدام الكومبيوتر ، فسوف نذهل لضخامة الرقم الإجمالى النهائى لتلك الحسبة .. وسنرتاع جيداً وبشدة من هول تلك الملايين من الجنيهات التى أنفقت هدراً . وسيتساءل بعض الأذكياء منا ويقولون : ألم يكن من الأفضل لعملية الإنتاج نفسها أن تنفق هذه الملايين على تحسينها هى بدلاً من تحسين صور السادة رؤساء مجالس الإدارة .. وسيقول بعض العقلاء أن المفروض أن هذه الحكاية عبارة « منافسة » بين الجهات المنتجة ، ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن تفوز جميع هذه الجهات المتنافسة ، بل لابد أن يقتصر الفوز على الجهات « المنتجة جداً » أو « المنتجة خالص خالص » ويتم اختيار ثلاثة فقط من هذه الجهات لتفوز الأولى بالمركز الأول وتفوز الثانية بالمركز الثانى وتفوز الثالثة بالمركز الثالث .. وإذا كان لابد من توزيع « دروع الإنتاج » أيضاً بالإضافة إلى

كؤوسه .. فيصنع فى هذه الحالة ثلاثة كؤوس : كأس كبير وكأس متوسط وكأس « صغنون » .. كما تصنع أيضاً ثلاثة دروع : درع كبير ودرع متوسط ودرع « صغيور » .. وبهذه الطريقة يتم انقاذ بعض الملايين من الجنيهات كانت معدة لفرقعتها فى الهواء على هيئة اعلانات ممجوجة سئمها الناس ..

هذا ما يقوله عقلاء العقلاء .. ولكن ماذا يقول العقلاء المجانين وهم كثيرون ، يتكلمون كثيراً ولكن أحداً لا يقتنع بما يقولون .. ؟!

ينقسم العقلاء المجانين فى هذا الخصوص .. أى بالنسبة إلى موضوع كؤوس الإنتاج ودروعه إلى ثلاث مجموعات .. المجموعة الأولى تنادى بإلغاء هذه الموالد باعتبارها نوعاً من العبث ومضيعة للمال والوقت بلا طائل .. وتطالب بالالتفات إلى عملية « الإنتاج » نفسها .. أى بتحسين السلع والخدمات المنتجة .. واخلائها من العيوب والسلبيات التى اشتهرت بها .

أما المجموعة الثانية وترفع هذه المجموعة من المجانين شعاراً يقول «كفاية هجص بقى » !! فهى تقبل الرأى القائل بتوزيع ثلاثة كؤوس فقط على الفائزين .. ولكنها تنادى فى الوقت نفسه بتخفيض النفقات من المال العام إلى أقصى حد مستطاع .. وترى أيضاً أن كلمة « كأس » ترتبط كثيراً بكلمة « خمر » والعياذ بالله .. ولذلك فهى ترى أن تستخدم كلمة « كوز » بدلاً من « الكأس » فيقال كوز الإنتاج بدلاً من كأس الإنتاج .. وعلى ذلك فيتم توزيع « كوز الإنتاج » بدلاً من « كأس

الإنتاج » وترى فى النهاية منع الاعلانات نهائياً عن حفلات توزيع «الكيزان» لأن الناس مجّت هذه الإعلانات وتستخسر فيها نظرة العين أو لمحة البصر ..

أما بالنسبة « لدرع الإنتاج » فترى هذه المجموعة الثانية من عقلاء المجانين أن مصطلح « درع الإنتاج » يعتبر خطأ لغوياً فاحشاً ، إذ أن معنى كلمة « درع » فى اللغة العربية هو « الزردية » وهى قميص يلبسه المحارب ليقيه من سلاح العدو ويتكون من حلقات متشابكة مصنوعة من الحديد .. وعلى ذلك فلا يمكن أن يكون للإنتاج « درع » بأى حال من الأحوال .. ومع ذلك فإذا أصر المسئولون على توزيع جوائز مصنوعة من « الخشب » بالإضافة إلى جوائز كيزان الإنتاج المصنوعة من المعدن .. ففى هذه الحالة يمكن توزيع « حتة خشب » مصنفرة جيداً ومدهونة باللاكيه الأبيض ويكتب عليها بالبوية السوداء أى كلام ويمكن تسمية هذه الجائزة عندئذ « خشبة الإنتاج البيضاء » . وبذلك يستريح الجميع .

أما المجموعة الثالثة والأخيرة من عقلاء المجانين فهى تتكون غالباً من المجانين جداً وكلهم يطالبون بعمل انقلاب ضد موسم توزيع كؤوس ودروع الإنتاج وتحويله إلى مهرجان علنى عام لمحاسبة المنتجين السيئين الذين يغرقون الأسواق بالإنتاج السىء الردىء .. الذى يقل جودة عن مثيله الأجنبى وأعلى منه سعراً .

وعندئذ سيتحول هذا المهرجان إلى فرح حقيقى لكل الناس الطيبين وسعادة غامرة لكل المساكين من المستهلكين المصريين !

البكش أنواع .. والبكاشون كثيرون !!

أصبح « البكش » و « التبكيش » من الوسائل المعتادة فى التعامل بين الناس .. وزداد بالتالى عدد البكّاشين .. فبعد أن كانوا يعدون بالعشرات، أصبحوا الآن يعدون بعشرات الآلاف ..

وكنت أظن ـ كما يظن كثيرون غيرى ـ أن كلمة « بكش » من اختراع العوام ، يطلقونها على من « يبكش » على الناس ويسمونه « بكاشا » .. ولكنى فوجئت ـ وأرجو أن تفاجأوا مثلى ـ بأن الكلمة عربية فصحى .. جاءت من فعل « بكّش يبكش فهو بكاش » !

ومن الغريب أن الأصل الأول لهذه الكلمة فى اللغة العربية هو فعل «بشَّك » بمعنى كذب واختلق أقوالاً غير حقيقية ليحتال بها على الناس.. ويقول العرب القدماء « بشّك يبشِّك فهو بشّاك » .. ثم رأى العرب بعد ذلك أن « يقلبوا » منطوق الكلمة استسهالاً للنطق فجعلوها «بكش يبكش فهو بكاش » ..

ومن هنا انتشر البكش والبكاشون فى طول البلاد وعرضها ، يكذبون ويختلقون الأقوال والأفعال التى يحتالون بها على الآخرين .

وكان البكاشون « بتوع زمان » بكاشين بسطاء يضحكون على بسطاء .. كأن يبيع أحدهم مسحوقاً للناس على أنه « شربة تنزّل الدود » من البطون والأمعاء .. أو يبيع لهم سائلاً فى زجاجة صغيرة هو فى الأصل عبارة عن « ميّة نار » [أو حامض الكبريتيك] على أنه دواء لخلع الضرس بدون ألم .. أو يبيع بودرة فى أكياس هى طحين الحجر الجيرى على أنها مبيد لجميع أنواع الحشرات من البق والقمل إلى الصراصير والعناكب والثعابين والعقارب !

ولكن الناس الآن أصبحوا « مفتّحين » .. وأصبح من الصعب أن تنطلى عليهم أحابيل البكاشين البسطاء .. وبالتالى فقد أصبح من اللازم والضرورى أن يتغير شكل البكش وأحابيله وطرقه ، وأن يلبس البكاشون الجدد ثياباً جديدة ، وأن يخفوا وجوههم بأقنعة بكاشة تناسب مقتضيات العصر الحديث .

أصبح البكاشون الآن لا يقنعون بالتبكيش على السذج من الأفراد ، واتجهوا إلى طريق آخر هو التبكيش على أمم وشعوب بأكملها .. !

وأخطر أنواع البكاشين فى هذا الزمن ، هم البكاشون الكبار الذين يمارسون نشاطهم فى ملاعب الثقافة والسياسة والإقتصاد .

واعفونى من ذكر الأسماء ، فأنتم قراء أذكياء وتعرفون الأسماء إسماً إسماً .. وليس فى وسعى سوى أن أشير إلى الأوصاف العامة لهؤلاء البكاشين .. وانتم عليكم باقى الكلام !

فالبكاش الحديث فى مجال الثقافة والإعلام ، يشترط فيه أن يجيد الكتابة أو يجيد الكلام .. فإذا كان كاتباً من أصحاب الأقلام فإنه يكتب بأحبار من كل لون ، ويملأ أعمدة الصحف والمجلات والكتب بموضوعات ما أنزل الله بها من سلطان ، معتنقاً مبدأ واحداً لا يتزحزح عنه قيد أنملة وهو : « ويّاهم وياهم .. وعليهم عليهم » .. وبذلك يستطيع أن يمارس الدجل على قرائه طول النهار ، بالحاح واصرار ، باعتباره واحداً من الكتاب الكبار ..

والبكاش فى مجال السياسة من أخطر أنواع البكاشين وأشدهم إيذاءً.. لأنه فى العادة يظل يبكش ويبكش إلى أن ينطلى البكش على شعبه ، فيصدقون إنه بطل الأبطال الذى يستطيع أن يواجه العالم كله ، ويوقع الهزيمة بالأقربين والأبعدين .. ولعل أشهر الأمثلة على ذلك ، العملية التبكيشية الكبرى المسماة بأم المعارك !

أما بكاش الإقتصاد فى العصر الحديث ، فهو من « أوطى » أنواع البكاشين وأشدهم حقارة .. وهو صاحب قدرة خارقة على جعل الناس يستسلمون إليه ، ويقدمون أموالهم و«شقى» أعمارهم طائعين ، وطامعين فى « أمانته » التى يمثل دورها بغاية الإتقان ، معتمداً على لحية كثة كثيفة طولها شبر وعرضها شبر ، وجلابية بيضاء كدليل على الطهر ، وطاقية شبيكة من صناعة الصين الشيوعية أو ربما من صناعة تايوان ..

والأغرب من ذلك كله أن القانون يبدو وكأنه يقف فى صف البكاشين ، ويتنصل من حماية المغفلين ..

ومع ذلك إذا إمتلأت الدنيا من حولنا بكافة أنواع البكاشين ، فإن من الواجب علينا أن نحمى أنفسنا بأنفسنا ولا نكونن من المغفلين .. الكثيرين !!

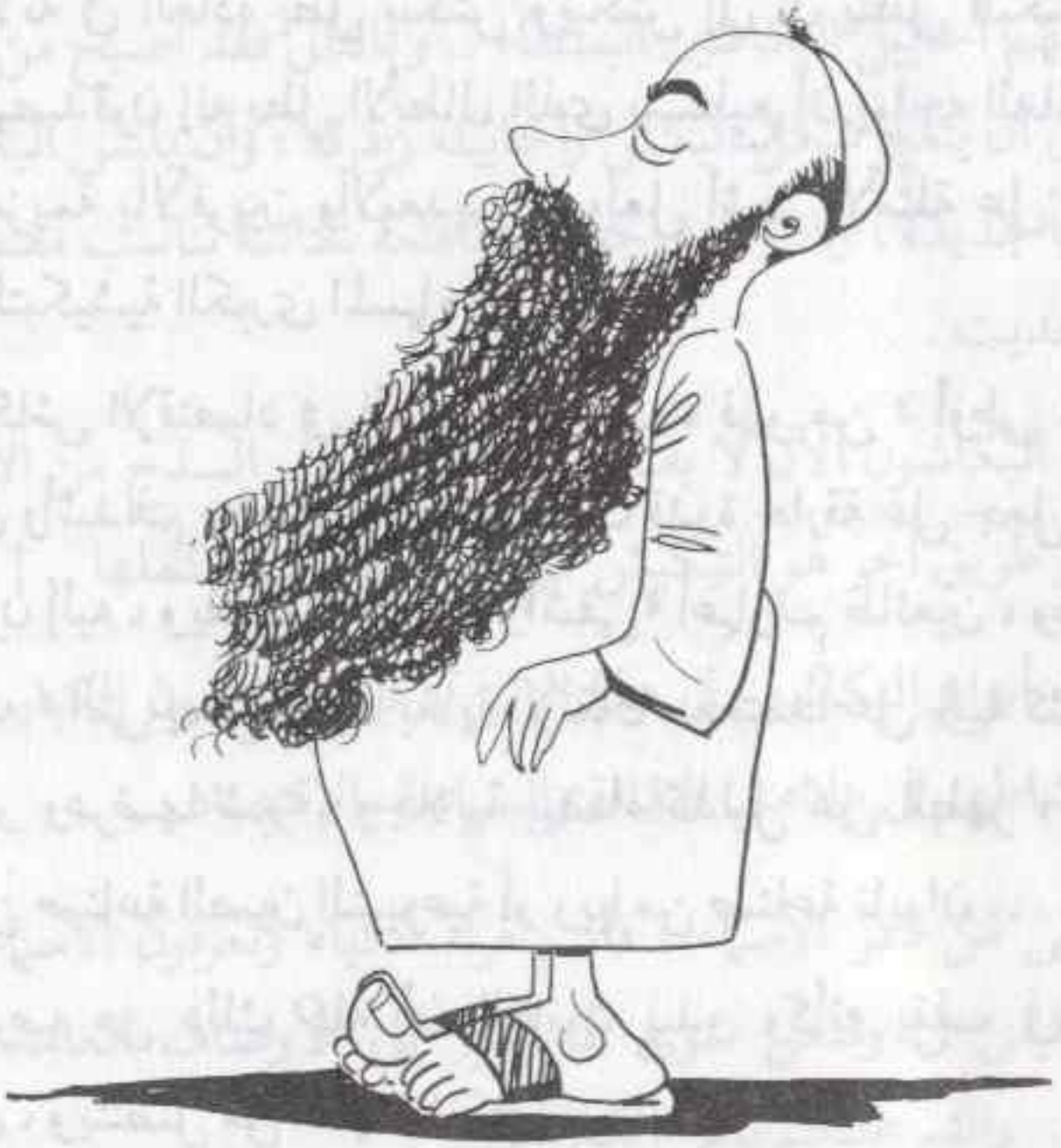

عالم مبنى على النصب !

تطالعنا إعلانات الصحافة والتليڤزيون ببعض الإعلانات الركيكة والغريبة المماثلة للإعلان التالى : عايز سيارة ببلاش ؟.. إذن ادفع ٧٠ ألف جنيه مقدم والباقى ٥ آلاف جنيه شهرياً لمدة ٢٤ شهراً ..

أو إعلان آخر يقول : عايز تليڤزيون ببلاش ؟ .. إذن أدفع ألف جنيه مقدم والباقى مائة جنيه شهريا لمدة ٣٦ شهرا ..

وهكذا انتشر مثل هذا الصنف من الإعلانات يوزع « ببلاش» الڤيديوهات والثلاجات وأجهزة التكييف وغسالات الملابس وغسالات الأطباق .. كل شىء عندهم أصبح « ببلاش » بشرط دفع المقدم البسيط والقسط الشهرى البسيط .. وكأن كلمة « ببلاش » هذه فقدت معناها الذى تعارف عليه الناس .. أو كأنهم حسبوها كلمة من لغة أجنبية غير كلمة ببلاش المعروفة فى اللغة العربية ..

وعندما يحل موسم الأكازيونات فى كل صيف وكل شتاء .. تغرق البلاد فى فيضان جارف من الإعلانات السمجة الممجوجة ذات الذوق

الضحل والمعنى الهابط .. يستخدمها التجار عادة لجذب أنظار البسطاء والسذج وكل من تنزلق به مقاديره إلى خدعة الأكازيون .

وفى الموسم الماضى ، وقفت مذهولاً أمام أحد المحلات المتخصصة فى بيع الملابس النسائية .. ولاحظت أن جميع قطع الملابس المعروضة بڤتارين المحل كتبت عليها عبارات وكلمات تغرى بالشراء مثل : يا سلام ! .. إيه الحلاوة دى ؟ .. آخر موضة ! .. آخر دندشة ! ..إلى غير ذلك من العبارات العادية المستهجنة التى يجيدها التجار فى مواسم الأوكازيونات .

غير أنى لاحظت أن بعض المعروضات تحمل عبارات وقحة وغير تقليدية .. منها مثلاً عبارة علقت على أحد الفساتين تقول : أنا مليش دعوة اشترى لى الفستان ده ! .. وعبارة أخرى معلقة على أحد التاييرات تقول : إذا ماكنتش حتشترى لى التايير ده طلقنى !

وهنا فار الدم فى عروقى من شدة الغليان ، وقررت أن أقابل صاحب المحل لأناقشه فى سماجة وخطورة هذه العبارات .. والحقيقة أن الرجل قابلنى بترحاب مفتعل ، فقد ظننى زبوناً يريد أن يشترى .. ولكنه ما أن عرف الموضوع الذى قصدته بحديثى معه ، حتى بدت عليه علامات الضيق وقال بحدة : مالها العبارات ياسيدى ؟ .. إذا كان الراجل ميقدرش يشترى لمراته تايير زى ده .. يبقى يطلقها أحسن .. وفيه غيره يتجوزها ويشترى لها التايير !

ولما نبهته إلى أن هذه المنطق معناه أن نسبة الطلاق وزواج المطلقات ستزداد زيادة رهيبة ، لأن معظم الأزواج فى هذه الأيام السوداء لا يستطيعون شراء مثل هذا التايير بهذا الثمن الباهظ بالرغم من تخفيضه ٨٠٪ .. فقال عندئذ ببساطة وقرف زائد منهياً حديثه معى : يبقى أحسن يطلقوا نسوانهم .. وفيه رجاله غيرهم يقدروا يشتروا لهم التايير !

واضطررت عندئذ للإنصراف وأنا أقول لنفسى : معلش .. ربما يكون والد صاحب هذا المحل « مأذوناً » .. ويريد أن يروج له مهنته فى عقود الزواج وعقود الطلاق .. !

ولكن الشىء الملفت للنظر فى حكاية الأوكازيونات أن جميع التجار يعلنون عن تخفيضات هائلة لا مثيل لها ! .. تصل إلى ٨٠٪ من الثمن الأصلى .. وهذا فى حد ذاته يعتبر شيئاً غريباً فى بلد يعانى سكانه كلهم من موجة الغلاء « المفتعل » وهوجة رفع الأسعار بلا أى ضمير أو مبرر اقتصادى سليم ، إلا الرغبة فى الإستيلاء على ما فى جيوب الناس بكل الحيل وأساليب الجشع .

أليس من الواجب أن نحاسب [ولا أقول نحاكم] هؤلاء التجار الذين يبيعون بضائعهم بتخفيض ٧٠٪ أو ٨٠٪ .. لأنهم بالرغم من هذا التخفيض الهائل يحققون أرباحاً جشعة وفاحشة حين يبيعون هذه البضائع للناس بدون تخفيض فى فترتى ما قبل وما بعد الأوكازيون ..؟

إن مثل هؤلاء التجار يعملون تحت شعار « التجارة شطارة » ..

ويفهمون كلمة الشطارة فى هذا الشعار على أنها القدرة على السلب والنهب دون الوقوع تحت طائلة القانون .. وهذا فى رأيى يعتبر أعلى مراحل النصب .

والنصب كما هو معروف يعتبر ظاهرة دولية منتشرة فى كل مكان بهذا العالم .. وفى جميع شعوب الأرض يمارس النصابون عمليات النصب على المنصوب عليهم .

وعندما تقصيت معانى كلمة النصب [سواء أكانت فعلاً أو إسماً] فى معاجم اللغة العربية ، لاحظت أن لهذه الكلمات معان عديدة هاكم بعضها :

يقولون « نَصَبَ » الحادى نصباً أى غنى غناءً .. و«نَصَبَ » الشىء أى أقامه ورفعه .. و«نَصَبَ» له الشر والعداء أى أظهرهما له وقصده بهما.. و«نَصَبَ» له حرباً أى شن الحرب عليه .

ويقال أيضاً « نَصَبَ » على فلان أى سوّى له حيلة أو خديعة فاحتال عليه وخدعه .

و« المنصوبة » هى الحيلة أو عملية النصب على الآخرين .. و«النصّاب » هو الذى ينصّب نفسه ويتقدم لعمل خادع لم يطلب منه ، وهو أيضاً الخدّاع المحتال .

ومن الواضح تماماً أن « النصب » بجميع أنواعه قد أصبح من

ضرورات الحياة فى عالم مبنى على النصب .. فهناك أفراد ينصبون على أفراد .. وحكام ينصبون على شعوبهم .. ودول تنصب على دول أخرى ..

ومادامت الشمس تشرق وتغرب .. فإن الحياة ستظل ملآنة بعمليات النصب والنصابين والمنصوب عليهم .. وكل نصاب وله طريقة .. !

القروض .. وشغل القرود !

السلف تلف والرد خسارة .. هكذا قال الحكماء الشعبيون فيما مضى .. والدين هم بالليل وذل بالنهار .. وأفظع شىء فى هذه الدنيا أن يأكل البنى آدم بالدين .. و«المدين » فى لغة القانون هو الشخص الذى يستدين .. وفى لغة الضاد هو الشخص الذى يدخل نفسه أو تدخله ظروفه فى حلقة جهنمية لا خلاص منها ولا فكاك .. وغالباً ما يعجز هذا الشخص عن سداد الدين ، بل ويعجز أيضاً عن دفع « فوائد » الدين .. وعندئذ تصبح حياته مراراً فى مرار .

وما ينطبق على البنى آدم ينطبق أيضاً على الدول ، فالدول فى النهاية عبارة عن مجموعة بنى آدمين .

والقروض تتيح للدائن دائماً أن يشتغل شغل القرود .. خصوصاً عندما يكون المدين جاهلاً ويكون الدائن جشعاً طماعاً .. وهذا هو الغالب فى معظم الأحيان .

وما يحدث الآن فى عالم اليوم بين الدائنين والمدينين ، من الدول أو من البنى آدمين ، حدث مثله فى عالم الأمس ، وسيحدث مثله فى عالم الغد ،

مادام هناك محتاجون يلقون بأنفسهم إلى التهلكة وهم جهلاء ، ومادام الدائنون الطامعون يجيدون فن « الاستكراد » .

ومن مجلة « التنكيت والتبكيت » التى كان يصدرها رائد الكتابة « الكاريكارتيرية » عمنا عبد الله النديم سنة ١٨٨١ ـ أى منذ أكثر من مائة وعشرة أعوام ـ انقل لكم هذا الحوار الممتع الذى يضحك الأفواه والشفاه ، وقد يدمع العيون ويفطر القلوب على ذلك اللقاء الفظيع بين « الجهل والطمع » .. ويدور هذا الحوار بين زارع محتاج جاهل ، وتاجر محتال طامع :

الزارع : عاوز مائة جنيه بالفرط [أى بالفوائد] يا سيدى !

التاجر : فرط المائة عشرين كل سنة .

الزارع : وماله .. اعمل اللى تعمله !

التاجر : شيل عشرين من مائة يفضل كام ؟

الزارع : لهو أنا كاتب .. شوف انت يفضل كام .

التاجر : يبقى سبعين !

الزارع : يدوب كده .

التاجر : دلوقت نكتب الكمبيالة بمائة جنيه ونضم عليهم عشرين يبقوا مائة وعشرين .

الزارع : اكتب .. وخد الختم أهه !

[وفى وسط السنة قدم الزارع للتاجر ١٠ قناطير قطن و١٠ أرادب سمسم و٢٠ أردب قمح و٣٠ أردب فول و٤٠ أردب شعير .. ودار بين الزارع والتاجر الحوار التالى]:

الـزارع : حاسبنى يا سيدى !

التاجر : انـت جبت قطن بـ ٢٠ جنيه وقمـح بـ ١٠ جنيه وسمسم بـ ٨ جنيه وفول بـ ٢٠ جنيه وشعير بـ ١٠ جنيه .. يبقى المجموع كام ؟

الـزارع : ما قلت لك من ديك المرة ما أعرفش الحساب .

التاجر : يبقى ٤٠ جنيه . شيلهم من ١٢٠ يبقى الباقى كام ؟

الزارع : مين عارف .. شىء كتير !

التاجر : يبقى الباقى ٩٠ جنيه وفوايدهم عشرين يبقى المجموع ١١٥ .. طالب انت كام ؟ ٣٠ يبقى كله ١٦٠ ضم عليهم ٤٠ جنيه فوايد تبقى الكمبيالة تنكتب بـ ٢١٠ جنيه ونص جنيه .

الـزارع : هو إيه ؟! .. مش الأصل سبع عشرات وعشرتين وجالهم تلاتين وتلاتين .. شيل منهم تمن البتوعات اللى أنا جبتهم يبقى لك دلوقت ٢١٠ بس .. والنص جنيه ده بتاع إيه .. جبته منين ؟!

التاجر : النص جنيه أجرة كتابتى الكمبيالة وورق الحساب .

الـزارع : أيوه دلوقت صحت الحسبة .. السنة دى حأبيع لك ٥٠

فدان فى ١٠ جنيه يبقى لك أد إيه بعد كده .. يا جنيهين يا تلاته .. خدلك بيهم جاموسة !

●● ألم أقل لكم منذ البداية أن فى القروض شغل قرود .. على أية حال قد يكون من الصعب أن نتصور أن مثل هذا الحوار قد يدور الآن بينى بنى آدم وبنى آدم آخر .. فى حين أن من السهل جداً أن نتصور هذا الحوار بين دولة محتاجة ودولة طماعة !

تنويعات .. على ضريبة المبيعات !

كلنا نعرف أن « الضريبة » هى مبلغ من المال تأخذه الدولة من أرزاق الناس .. وأن المفروض أن هذا المال تنفقه الدولة لتحقيق مصالح الناس الآخرين .. ولكن الغريب حقاً أن كلمة « ضريبة » لها معان أخرى فى اللغة العربية .. من هذه المعانى الغريبة أن كلمة « ضريبة » تعنى «المضروب بالسيف ! » ..

ومهما قيل أن كل مواطن عليه أن يشارك الدولة فى تحمل أعبائها الجسام .. وأن الضريبة تكليف أو واجب وطنى لابد أن يؤديه كل مواطن قادر ، شرب من ماء الوطن أو تنعم بخيراته ، أو تنسم هواءه . فإن الضريبة بالنسبة لأى إنسان على ظهر الأرض كلها تعتبر هماً ثقيلاً على القلب والروح والفؤاد ، واليوم الذى يجبر فيه الإنسان ـ أى إنسان ـ على دفعها ، يعتبر من أسود الأيام المهيّبة التى لا تمر على خير ، ويظل الإنسان بعده فى نكد مستمر وهم ثقيل إلى أن يحين موعد سداده للضريبة التالية .

وبصراحة شديدة لو تركت الحرية لأى إنسان على الأرض أن يدفع

الضريبة للدولة أو لايدفعها ، فلن يدفع أحد مليماً واحداً ، عدا بعض المتشنجين الذين يؤمنون بالهتاف المبتكر : بالروح .. بالدم .. نفديك يا فلان .. وحتى هؤلاء إذا خلوا إلى أنفسهم فإنهم يقولون فى سرهم : روح إيه ودم إيه اللى إحنا بنقول عليه ؟! .. وعندئذ سيبحثون لأنفسهم عن أية طريقة من الطرق المعروفة للتهرب من الضريبة ، ولو باستغلال هذا الهتاف ورفع درجته الصوتية .

لذلك فإن الدولة ـ أى دولة ـ تبحث لنفسها هى الأخرى عن الطرق التى تؤدى إلى « إجبار » الناس على دفع الضريبة ، سواء بالعدل أو بالظلم ، سواء أكان الناس معهم ما يكفى لسداد الضريبة أم كانوا مفلسين أو من ذوى الرزق الضيق الذى يكفى بالكاد لشراء الطعام .

وقد يكون هناك احتمال فى أن كلمة « ضريبة » مأخوذة من فعل « ضرب » .. ومن شواهد التاريخ ما يساعدنا على افتراض ذلك ..

ونحن أبناء النيل علينا أن نحمد ربنا ألف حمد لأننا لا نعيش الآن فى العصر الفرعونى ، حيث كانت الطريقة الرسمية السائدة فى تحصيل الضرائب هى « الضرب » .. ومن الصور الشهيرة المنقوشة على جدران المقابر ، منظر المتوفى صاحب الجاه والسلطان وهو يشرف على جباية الضرائب من الفلاحين ، حيث يقوم الموظفون باعطاء أحد الفلاحين علقة ساخنة ، فيرتمى الفلاح على وجهه ويضربه الموظف بالعصا على ظهره العارى وعلى مؤخرته ، بينما يخر فلاح آخر « عليه الدور » راكعاً على ركبتيه ورافعاً يديه على سبيل الاسترحام .. وهذا المنظر يعتبر منظراً

تقليدياً متكرراً فى كثير من المقابر التى يرجع تاريخها إلى مختلف العصور الفرعونية . وكان يكتب تحته بالهيروجليفية نص متكرر فى كل منظر وهو : « قلنا له قدم قمحاً .. فقال لا يوجد لدى شىء منه .. فأوسعناه ضربا» .

وظل « الضرب » هو الوسيلة المثلى لدى الدولة فى جباية الضرائب من أبناء النيل طوال التاريخ المصرى كله حتى عصر قريب .. وفى أيام المماليك ـ لا أعادها الله ـ إستمرت عمليات الضرب ولكن بشدة وبطريقة أكثر فظاعة وظلماً .. فالفلاح الذى كان يعجز عن سداد الضريبة كان يضرب ويجلد بالكرباج .. ثم تحصل الضريبة المقررة عليه من أحد أقربائه أو جيرانه بعد ضربه طبعاً لأخذ الضريبة المقررة على هذا القريب أو الجار بالإضافة إلى الضريبة المقررة على الفلاح العاجز .. وكذلك إذا عجزت إحدى القرى عن سداد الضرائب المقررة على زمام القرية كلها فيضرب أهل هذه القرية جميعاً ، وتضاف ضرائب هذه القرية على ضرائب أقرب قرية مجاورة ، وأى احتجاج من أهالى هذه القرية المجاورة يقابل بالضرب الإضافى إلى جانب الضرب الأصلى المقرر والمفروض .

ونظراً لأنى لا أفهم فى الضرائب كثيراً ، فلم أفهم ما هو المقصود بتلك الضريبة الجديدة التى قررها مجلس الشعب بسرعة متناهية والتى تسمى ضريبة المبيعات .

واضطررت إلى اللجوء إلى أحد أصدقاء الصبا وكان زميلاً لى فى المدرسة الإبتدائية ولكنه أصبح الآن دكتوراً وعالماً فى الإقتصاد ويشار

إليه بالبنان وقلت له : أفدنى أفادك الله .. هل يمكنك أن تفهمنى ماهى « ضريبة المبيعات » التى يتحدثون عنها هذه الأيام .. ؟!

فنظر إلى بكل شفقة وقال : أهو انتم كده .. حتفضلوا طول عمركم تسألوا عن معنى الضرائب بعد أن تفرض عليكم .. ضريبة المبيعات يا استاذ هى نوع من الضرائب يفرض على بيع السلعة على أساس نسبة مئوية من الثمن .. والمفروض أنها تنصب على ثمن السلعة فى مرحلة انتقالها من تاجر التجزئة إلى المستهلك ..

ثم سحب نفساً عميقاً من سيجارته ونفثه فى الهواء فى شكل حلقات اقتصادية وواصل كلامه بطريقة أكثر علمية وقال : وقد تفرض هذه الضريبة أيضاً على ثمن بيع السلعة عند انتقالها من المستورد أو المنتج إلى تاجر الجملة ، فيحمِّلها هذا الأخير على تاجر التجزئة الذى يحمِّلها بدوره على عاتق المستهلك .. فهمت ؟!

قلت مذعوراً : نعم فهمت .. ولبئس ما فهمت .. هل معنى ذلك أن المستهلك المسكين سيتحمل كل هذا التراكم الضرائبى بسبب فرض هذه الضريبة التى تسمى ضريبة المبيعات .. ؟!

فتهلل وجهه فرحاً وقال : كويسة حكاية « التراكم الضرائبى » دى .. فهذا تعبير اقتصادى سليم .. اتعلمته فين .. ؟!

قلت وأنا مهموم : اتعلمته من الحياة يا دكتور .. فنحن نسبح فى بحر تتلاطم فيه ضرائب مباشرة وغير مباشرة .. وضرائب نسبية وتصاعدية ..

وضرائب على الإنتاج وأخرى على الإستهلاك .. وضرائب على الأرباح التجارية والصناعية وأخرى على المهن الحرة .. وضريبة عامة على الإيراد .. وضريبة كسب العمل .. وضريبة على القيم المنقولة .. وضريبة على السيارات .. هذا بالإضافة إلى معونة الشتاء ..

فقال الدكتور وقد انفرجت أساريره : أرأيت مدى قوة المواطن المصرى العظيم الذى يتحمل كل هذا الكم من الضرائب دون أن ينقطم ظهره أو ينقسم وسطه أو تطير رقبته من جسمه .. ؟!

قلت : صدقت يا دكتور .. ويكفينا فرحاً انهم توقفوا عن استخدام العصى والكرابيج فى تحصيل الضرائب كما كان يفعل الفراعنة والمماليك .. ولكن قل لى يا دكتور .. لماذا أسرع مجلس الشعب فى الموافقة على « ضريبة المبيعات » هذه دون مناقشة مستفيضة كان لابد منها ..

فقال بحزم العلماء : المناقشة فى مثل هذه الأمور الإقتصادية العميقة تعتبر مضيعة للوقت .. لقد انتهى عصر البطء .. ونحن نعيش عصر السرعة .. ألا ترى سرعة الصواريخ فى السماء ؟ .. ألا تعرف أن اليابان اخترعت قطاراً يسير بسرعة ٤٥٠ كيلو متر فى الساعة .. أين نحن من كل هذه السرعات ..

قلت : معذرة يا دكتور .. مازلنا نعيش فى مجتمع يقول : فى التأنى السلامة وفى العجلة الندامة ..

وقطع الحديث مرور جنازة .. فقلت فى عقل بالى وأنا أنظر إلى النعش: هاهو أحد المواطنين الأذكياء .. انسحب فى الوقت المناسب قبل أن تنطبق عليه « ضريبة المبيعات » ..!

كل واحد وزه .. !

نقولها فى لغتنا العامية « وزه » .. وهى بالعربية الفصحى « الإِوَزُّ » .. معلش ! وإذا كان كل واحد سيأخذ « وزة » فهذا شىء مستحب لمن يحبون الوز ويأكلون لحمه بعد شويه أو تحميره .. أو حتى بعد وضعه فى صينية بطاطس ويدخلونها الفرن ويلتهمونها ساخنة يفوح منها دخان ذو رائحة خاصة ولذيذة .

وفى حكاياتنا الشعبية حكاية ظريفة عن « الوز » وأصحابه .. نسبوها إلى جحا كما نسبوها إلى غيره .. ولا يعرف أحد متى حدثت هذه الحكاية ولا أين وقعت ..

تقول الحكاية أن رجلاً كان يربى عشر « وزّات » ولأمر ما اضطر إلى السفر إلى بنها العسل .. وهى بلدة تبعد عن القاهرة بمسافة يوم واحد على ظهر حمار .. ومعنى ذلك أن هذا الرجل كان سيتغيب فى سفره ثلاثة أيام على أقل تقدير : يوم فى الذهاب ويوم فى العودة ويوم يقضى فيه حاجته التى دعته إلى هـذا السفر .. والرجـل لا يستطيع أن يصحب معه « وزّاته » العشرة فى هذه الرحلة الشاقة .. فماذا يفعل ؟

ولحسن الحظ كان لهذا الرجل جار طيب .. فذهب الرجل إلى جاره

وطلب منه أن يرعى « الوز » أثناء غيابه وله الأجر والثواب عند الله .. وترك له كمية من « الذرة » وكمية أخرى من أوراق الخس وطلب من جاره أن يقوم باطعام الوز وتزويده بماء الشرب أثناء غيابه ..

الحقيقة أن الجار كان على وشك أن يعتذر عن القيام بتلك المهام الجسام ، لولا أن زوجته قد أبدت استعدادها على الفور للقيام بهذا الواجب .. وهكذا ترك صاحب الوز وزاته العشرة وسافر ..

ونظراً لأن هذا الجار وزوجته وعياله لم يذوقوا طعم الوز فى حياتهم من قبل ، فقد اختارت الزوجة وزة سمينة وذبحتها ونتفت ريشها وطبختها وصنعت منها وليمة فاخرة .. وفوجىء الجار بما فعلته زوجته بالوزة فامتعض فى البداية ولكنه اشترك فى تلك الوليمة بنهم واستطعام وتمتع .. وقال لنفسه : ربنا يفرجها لما ييجى صاحب الوز .. ونبقى نقول له أى حاجة ..

وجاء صاحب الوز بعد أن عاد من سفره .. وذهب إلى جاره ليستعيد وزاته العشرة .. فأعاد إليه الجار الوز بعد أن هنأه بسلامة الوصول .. وقام صاحب الوز بعدّ الوزات فوجدها تسع وزات فقط .. وسأل جاره عن الوزة العاشرة ، ففوجىء بأن الجار مصر على أن عدد الوزات عشرة !

ودار حديث بين صاحب الوز وجاره :

ـ دول تسع وزات .. آدى واحد اتنين تلاته .. تسعة .. إزاى يبقوا عشرة ..

ـ يا جدع عد الوز عِدِل .. آدى واحد اتنين تلاته ... عشرة ...

ـ انت بتغالط فى العدد ..

ـ أنا مابغالطش .. انت إللى مش عارف تعد لحد عشرة ..

ـ طيب نجيب واحد يعد الوز قدامنا ..

ـ هات ..!

وتصادف مرور رجل كان اسمه بالصدفة « عم حسن الحمار » فطلب منه صاحب الوز أن يعد الوز أمام خصمه .. فقام عم حسن بعدّ الوز وقال انهم تسع وزات .. وعندئذ قال الجار محتجاً :

ـ ده حمار .. لا يعرف فى الوز .. ولا يعرف قواعد الحساب ..

وهنا حسم صاحب الوز هذا الخلاف وقرر أن يشكو جاره إلى القاضى ويتهمه بأنه سرق وزه من الوزات العشرة . واستدعى القاضى الجار المتهم وقال :

ـ يا راجل دول تسع وزات .. أنا عديتهم .. بنفسى .. إزاى بتقول عشرة ..

فأجاب الجار المتهم بثبات :

ـ عفواً سيدى القاضى .. أنا لا أستطيع أن أتهم سعادتك بالغلط فى الحساب .. دول عشر وزات .. أهم : واحد اتنين تلاتة .... عشرة !

اغتاظ القاضى وقال للمتهم :

ـ طب دول لو كانوا عشر وزات .. وجبنا عشر رجاله .. يبقى كل واحد فيهم حياخد كام وزه .. ؟!

فأجاب المتهم : وزه واحدة طبعاً ! .. هى دى عايزة كلام ..

وفى الحال أمر القاضى باحضار عشر رجال .. وطلب منهم أن يأخذ كل واحد وزة .. فتقدم الرجال وأخذ كل واحد منهم وزة فيما عدا واحداً لأن عدد الوزات كان تسعاً .. وهنا ابتسم القاضى منتصراً بعد أن توصل إلى تلك الحقيقة الدامغة .. وقال للجار المتهم :

ـ هاه .. إيه رأيك بقى .. آدى راجل ما أخدش وزه .. قلت إيه ؟!

فقال المتهم بثبات وجسارة :

ـ حاقول إيه .. ماكان قدامه الوز .. ماأخدش ليه .. !

وإلى هنا تنتهى الحكاية الشعبية .. ولا يعرف أحد حتى الآن .. ماذا فعل القاضى أمام هذا المنطق المعقول ..!

وحياة سيدنا الحمار !!

[لايعرف أحـد حتى الآن فى أى عصر وقعت أحداث هذه القصة ، ولا المكان الذى حدثت فيه .. بل ويشك كثيرون من الشكاكين فى أن هذه القصة قد حدثت بالفعل ..]

يقولون أن اثنين من حرامية الحمير الذين يظهرون فى القرى المصرية بين حين وآخر ، قد تسللا فى الظلام إلى إحدى الزرائب وسرقا حماراً سحباه إلى خارج القرية .. وسارا به فى الظلام حتى وصلا إلى منطقة فيها بصيص من النور .. وعندئذ تبين لهما أن الحمار الذى سرقاه حمار هزيل معتل الصحة ولايقوى على السير بطريقة الحمير الآخرين .. وأنه باختصار شديد عبارة عن جلد على عظم ، ومستعد للنفوق فى أية لحظة..!

وطوال الطريق ظل اللصان يندبان حظهما التعس الذى أوقعهما فى هذا الحمار الذى لا يساوى شيئاً فى سوق الحمير .. بل ولا يوجد أى مغفل يمكن أن يشتريه ولو بأبخس الأثمان ..

وفجأة توقف الحمار عن السير وسقط على الأرض وانتفض مرتين ثم نفق ومات .. وزادت بالتالى هموم اللصين فى تلك الليلة الشؤم .. فجلسا على الأرض ليستريحا قليلاً ، وليفكرا فى طريقة لسرقة حمار آخر بدلاً من الحمار النافق .

كان اللص الأول أذكى قليلاً من اللص الثانى .. فقال أن من الواجب أولاً دفن الحمار لإخفاء جسم جريمة السرقة .. فقال اللص الغبى أن لا داعى لدفن الحمار ومن الأفضل أن يبحثا أولاً عن حمار آخر يسرقاه .. فأصر اللص الأول على موقفه .. بل وقال أن من الأفضل أن يقلعا عن سرقة الحمير من زرائب الفلاحين ، لأنها مهنة شديدة الخطورة، وأن يبحثا عن طريقة للحصول على أموال الناس .. ويا حبذا لو كان ذلك يتم برضاهم ! .. يعنى بصراحة أن النصب أحسن من السرقة وأكثر أمناً .. !

ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟

وظل اللصان يفكران ويفكران إلى أن طرأت الفكرة الجهنمية فى رأس اللص الغبى .

قال أن عليهما أن يدفنا الحمار ويقيما فوقه ضريحاً صغيراً .. وعليهما أن يقنعا الناس من سكان القرية وسكان القرى المجاورة بأنهما غريبان كانا قادمين فى صحبة رجل صالح اسمه الشيخ حمار .. وهو رجل كان حبيباً للحمير وعطوفاً عليها ، وله بركات يعرفها كل الحمير ، وكل أصحاب الحمير ، وكل من يرغب فى امتلاك حمار ..

وقال اللص الذكى : طب وبعدين .. ؟!

فقال اللص الغبى مواصلاً عرض فكرته الجهنمية أن حبكة هذه القصة تقتضى أن يدعيا أن الشيخ حمار قد مات عندما حل أجله فى هذا

المكان .. ولأنهما من مريدى هذا الشيخ فقد أقاما له ضريحاً حيث مات ودفن ، لتستمر بركاته على الحمير وأهل الحمير فى كل أرجاء هذه المنطقة والمناطق المجاورة .

وعندئذ تساءل اللص الذكى : وكيف سنحصل على النقود من الناس .. أن الحصول على النقود هو الهدف المنشود .. فكيف نحققه ..؟

فأجاب اللص الغبى بسهولة أن الأمر بسيط .. مجرد صندوق من الخشب يسمى « صندوق النذور » يضع فيه طالب الحاجة ما تجود به نفسه .. ومجرد عمامتين خضراوين يلبسانها كمظهر مميز لمهنتهما الجديدة .. وأن عليهما أن يمارسا من الآن فن الإجابة على جميع الاستشارات المحتملة الخاصة بالحمير وشئونها المختلفة .

وهكذا أقيم للحمار الناقق ضريح شاعت شهرته .. وأخذ أصحاب الحمير يقصدونه ليبارك حميرهم .. وإذا مرض حمار أو أصيب فإن صاحبه ينذر نذراً لسيدنا الحمار إذا شفى حماره أو عادت إليه عافيته .. كما كان من لا يملكون حميراً يطلبون من سيدنا الحمار أن يستجيب لدعائهم ويحقق لهم آمالهم المنشودة .. كما كان الناس يلجأون إليه أيضاً إذا « حبلت » حماراتهم لطلب السلامة فى الولادة والنسل الطيب ..

وكان اللصان يشرفان بعناية على شئون الضريح ويحصلان من الناس على أتعاب محترمة .. وكانا يبيعان أيضاً « أحجبة » وتمائم لتعليقها برقاب الجحوش الصغيرة لتقيها شر أعين الحاسدين ، وتمنحها القوة والعافية والصبر وشدة الاحتمال ..

وكلما ذهب أحد الناس إلى السوق ليبيع حماراً أو ليشترى حماراً .. لابد أن يمر أولاً على ضريح سيدنا الحمار ليدفع المعلوم ليحصل على بركة بيع الحمار القديم أو شراء الحمار الجديد .

ونظراً لأهمية حمير المنطقة وارتباطها الشديد بحياة الناس ، فقد كان القسم بحياة سيدنا الحمار لا ينزل الأرض ، ولايمكن الحنث به أو التلاعب فيه ..

وهكذا مرت الأيام والشهور والسنين .. وأصبح اللصان من كبار الأثرياء .

ولكن لأن اللص يظل دائماً لصاً ، كما يظل النصاب نصاباً .. فقد كان كل من اللصين يسرق زميله بين حين وآخر .. وفى أحد الأيام اتهم اللص الغبى زميله الذكى بأنه يسرق بعض الأموال من صندوق النذور ويأخذ أكثر من نصيبه .. وأخذ اللص المتهم يحاول أن يبرىء نفسه من تلك التهمة فقال لزميله : وحياة سيدنا الحمار .. أنا ماعملت كده !

فقال اللص الغبى : انت حتحلف لى بسيدنا الحمار .. « ده احنا دافنينه سوا » .. !

وصارت هذه الجملة الأخيرة مثلاً شعبياً يجرى على ألسنة الناس .. أو حين يحاول نصاب أن ينصب على نصاب .. !

حكاية إليكترونية صغيرة

الأستاذ « كومب » يعترف .. !

لقد تحول صاحبنا من إنسان طبيعى إلى حاسب آلى فى فترة وجيزة جداً .. وبدأت الحكاية بعد أن قبض جمعية وورث بعض الأملاك الخفيفة عن أبيه .. فأحس بثراء مفاجىء أقسم أن يستثمره فى خدمة الإنسانية !

عرض عليه بعض الأصدقاء أن يشترى زوجين من الأرانب ، ذكراً وأنثى ، وكمية من البرسيم والجزر ، وأن يشرف على عمليات توالد الأجيال المتعاقبة من الأرانب .. وفى خلال سنة واحدة ، سيصل عدد الأرانب إلى مليون أرنب .. فإذا باع الأرنب الواحد بجنيه واحد سيحصل على مليون جنيه .. ومن هنا جاءت تسمية المليون جنيه باسم « أرنب » !

ونصحه أصدقاء آخرون بأن يلبس جلابية قصيرة وأن يطلق شعر لحيته ويجعله فى طول المقشة .. وأن ينشىء شركة لتوظيف الأموال بالحلال بعد أن يشيع أن التعامل مع البنوك حرام .. وفى خلال سنة

واحدة سيحصل على عشرة أزواج من « الأرانب » وربما أكثر من ذلك بكثير ..

أما خاله وهو صاحب متجر صغير فى وكالة البلح لبيع الحدائد الخردة وبقايا السيارات القديمة المحطمة فقد نصحه بأن يستغل ما تعلمه فى كلية الهندسة فى تسييح وصهر الخردة واستخدامها فى صناعة «تيل الفرامل » ودمغها باسم الماركات العالمية .. وهى صناعة ستدر عليهما « الأرانب » أزواجاً أزواجاً ..

غير أن صاحبنا لم يستجب لأية نصيحة من تلك النصائح كلها .. وصرح لبعض أصدقائه بأنه سيسخر معلوماته عن الهندسة الإلكترونية لخدمة ابناء الوطن وخدمة البشرية ..

وجمع أمواله كلها واشترى بها جهاز كمبيوتر من أحدث طراز ، وله قدرات فائقة فى سرعة العد والجمع والطرح والقسمة والضرب وتحديد النسب المئوية والجذور التربيعية والتكعيبية . بالإضافة طبعاً إلى قدراته الإلكترونية المبهرة على الإتصال بأجهزة الكمبيوتر التى يمتلكها الأفراد والدول سواء بداخل نطاق الكرة الأرضية أو فى الفضاء الخارجى .

ومن يومها لم نعد نرى صاحبنا ولم يعد يظهر لأحد .. لقد لزم بيته واختفى فيه لمدة عام كامل .. وأخذ يقوم بتشغيل جهازه والضغط على أزراره بكل طريقة يراها مفيدة لتحقيق النتائج التى يريد الحصول عليها ..

واحتفالاً بمرور عام على مولد العلاقة بين صاحبنا وجهازه .. ظهر صاحبنا فى القهوة ذات مساء .. واقتحم جلسة الأصدقاء وهو يقول بصوت مرتفع : ٣مليون و٨٩٤ ألف و٥١١ .. !

فتساءل الأصدقاء الراغبون فى المعرفة : أنت فين يا راجل من زمان .. وايه حكاية العدد ده .. ؟

أجاب بتؤده : انه عدد المطبات فى مدينة القاهرة الكبرى .. وهى المطبات التى يزيد قطرها على متر فأكثر .. وعندى احصاء آخر بنسبة المطبات الصغيرة إلى المطبات الكبيرة .. وبيان بمقاسات وأبعاد جميع المطبات ، وطول كل مطب وعرضه إذا كان مستطيلاً .. وطول كل ضلع من أضلاعه إذا كان مربعاً .. وطول محيطه إذا كان مستديراً أو شبه منحرف .. بالإضافة إلى عمق كل مطب أو ارتفاعه ونوعه إذا كان طبيعياً أو صناعياً أو كان نتيجة عدم المبالاة وعدم الإهتمام بأداء الواجب .

وهنا قاطعه أحد الأصدقاء من قصار النظر وقال فى استهتار بالغ : طب وإيه يعنى .. ما احنا كلنا عارفين المعلومات دى من غير مايكون عندنا كمبيوتر ..!

احتد صاحبنا وصاح : يا جاهل الكمبيوتر كله أرقام علمية .. وأنا لا أريد أن أذكر لكم الأرقام الحقيقية حتى لا يغمى عليكم .. أنا أبلغكم بالنتائج بعد أن أقربها إلى أذهانكم .. عن إذنكم .. أنا مروّح !

وحتى لا يزعل صاحبنا هكذا فقد تمسكنا به وقلنا له : لاتزعل .. وقل مابدا لك .. احنا رجالك .. وستجدنا إن شاء الله من السامعين !

عندئذ اعتدل على كرسيه وقال بصوت أجش رزين : تصوروا .. لقد تتبعت بجهازى جميع ماكتبته الصحافة وإذاعة الراديو والتليڤزيون على مدى الأربعين سنة الماضية فوجدت العجب العجاب وحصلت على احصاءات ومعلومات يشيب لها الولدان !

قال قائل : قل لنا الله يخليك ولكن بدون ذكر أرقام .. فمن طول سماعنا للأرقام أصبحنا لا نفهم شيئاً ولانعرف رؤوسنا من أرجلنا ..

تنحنح صاحبنا ورشف شفطة من كوب القرفة وقال بقرف : لقد أحصيت عدد المساكن أو ما يسمى بالوحدات السكنية التى أنشأتها الحكومة فوجدته يكفى لإيواء سكان الصين الذين يزيد عددهم على ألف مليون نسمة !

وأحصيت عدد فدادين الأراضى الزراعية التى أصلحتها الحكومة فوجدته يغطى تقريباً مساحة قارتى أوربا واستراليا وجزءاً كبيراً من قارة آسيا .. !

كما أحصيت الأقاويل التى تقال عن زراعة الكانتلوب والخيار والفراولة فوجدتها تكفى لإطعام سكان العالم لمدة ٢٤ سنة متصلة ..

وعندما توقف صاحبنا عند هذا القدر من المعلومات التى توصل إليها عن طريق جهازه العظيم .. أخذنا نصفق له بشدة ، تحية لـه

وتكريماً .. ووضع الجرسون أصابعه فى فمه وأخذ يصفر صفيراً عالياً ..

ومن يومها أطلقنا على صاحبنا الأستاذ « كومب يوتر » .. ومن كان يريد أن يدلعه ، فقد كان يناديه باسم « الأستاذ كومب » فقط !

حكاية وزارية قصيرة

تحت بيتنا وزارة !

قبل أن أخبركم بأمر تلك الوزارة التى توجد تحت بيتنا ، أريد أولاً أن أصف لكم هذا البيت .. فهو عبارة عن برج يتكون من اثنين وثلاثين دوراً ، ونحن نسكن فى الدور الثامن والعشرين ..

ويقع هذا البرج فى منطقة هادئة ذات شارع مسدود متفرع من كورنيش النيل .. وهو أحد أبراج أربعة تتصل أدوارها الستة الأولى ببعضها ، ثم يستقل كل برج بأدواره من الدور السابع حتى الدور الثانى والثلاثين .

أما الوزارة التى أحدثكم عنها فتشغل هذه الأدوار الستة المتصلة ببعضها .. وملأت الوزارة هذه الأدوار بالمكاتب التى يجلس عليها مئات من جيش عرموم من الموظفين والموظفات .

وهناك عدة ظواهر واضحة يجب أن تعرفوها قبل كل شىء .. أولها أن عدد الموظفات يفوق عدد الموظفين أضعافاً مضاعفة .. كما أن الغالبية العظمى من هؤلاء الموظفات « حوامل » فى شهور مختلفة ، أما الأقلية من الموظفات فقد وضعن أطفالهن ، وينتظرن الحمل مرة أخرى .

وهذه الوزارة مثل كل وزارة غيرها فى مصر ، لها جمعية « فئوية » توفر للعاملين بها ما يحتاجونه ومالا يحتاجونه من أرز وسكر وشاى وبيض وسمن ومعلبات التونة والبلوبيف بالإضافة إلى أنواع مختلفة من المبيدات الحشرية .

ومثل كل الجمعيات الفئوية الأخرى تزدحم الجمعية بالموظفين والموظفات الذين يتركون مكاتبهم كلما سمعوا عن ورود صنف جديد .

والآن .. هل تريدون أن تعرفوا كيف تسير الأمور فى تلك الوزارة ؟ .. إن ذلك أمر سهل للغاية إذا سمحتم لى بأن أصحبكم ليوم كامل من أيام العمل .. وهو يوم لا يزيد عن ست ساعات ضائعة .. تبدأ فى الثامنة صباحاً وتنتهى فى الثانية بعد الظهر .

قبيل الساعة الثامنة بقليل تكون المنطقة هادئة تماماً .. ثم تبدأ غمائم الدوشة عند وصول أول أتوبيس من أتوبيسات الوزارة .. وهى أتوبيسات تؤدى دور همزة الوصل بين الموظفين والموظفات وبين بيوتهم وبيوتهن .. عملاً بالقـول الشائع « من البيت للوزارة ، ومن الوزارة للبيت » .

وتستمر الدوشة وتعلو بالتدريج كلما وصل أتوبيس جديد .. ويمتلىء الهواء والأثير المحيط بالوزارة والأبراج التى تعلوها بموجات صوتية هى خليط من الثرثرة والسلامات والضحكات والإحتجاجات والزعيق والتزاحم على دفاتر التوقيع بالحضور ..

وفى نحو الثامنة والنصف يبدأ عرض الميكانيكية والكهربائية وبتوع الكاوتش والسائقين .. ويشترك فى العرض أيضاً مجموعة من العمال والحرفيين الآخرين من العاملين بالوزارة .. ويبدأ العرض عادة بتناول الإفطار وشرب الشاى مع الصياح والتأليس على بعضهم والشتائم المتبادلة التى لا تعرف حقيقة أمرها : هل هى جد أم هزار .. ؟

وفى جميع أيام العمل ـ عدا الأجازات ـ تفطر الوزارة كلها بسندوتشات الفول .. أما كيف يكون ذلك فالأمر بسيط ، حيث تحضر عربة الفول وتقف على ناصية الأبراج منذ الصباح الباكر انتظاراً لحضور جيش الموظفين والموظفات والعمال .. ويستعين بائع الفول بثلاثة من المساعدين يشتركون جميعاً فى اعداد السندويتشات بسرعة البرق .. وفى غضون دقائق قليلة بعد حضور الجميع يلتف السعاة حول عربة الفول لشراء ما كلفهم الموظفون والموظفات بشرائه من السندويتشات .. ولا يشترى الساعى الواحد فى العادة أقل من عشرين سندويتشاً !

وللعلم فإن بائع الفول هذا يبيع أيضاً كميات هائلة من الجرجير والكرّات والبصل الأخضر ، باعتبار أن تلك الأشياء لزوم الشىء الأساسى وهو الفول !

وبعد تناول الإفطار وشرب الشاى والذى منه .. يبدأ نشاط جديد يشترك فيه الأغلبية العظمى من الموظفين والموظفات .. ويستغرق هذا النشاط عادة يوم عمل كاملاً .. ولا ينتهى إلا بعد حلول موعد الإنصراف .

ويقوم بتحريك هذا النشاط مجموعة كاملة متكاملة من الباعة الجائلين الذين احتكروا بيع سلعهم للوزارة وكافة العاملين بها .. ويتوالى الحضور اليومى لهؤلاء الباعة بلا ترتيب ، ولكن بنظام غريب .. ويعرضون بضاعتهم على مختلف وسائل النقل والحمل والجر ، بدءاً بالحمير وعربات اليد وعربات الكارو التى تجرها الخيول أو البغال ، ومروراً بالتريسيكلات والسيارات « نص نقل » .

ومهما كانت كميات البضاعة كبيرة وضخمة ، فلا ينصرف البائع إلا بعد أن « يجبر » وينتهى بيع كل ما يحمله من أنواع البضاعة لزبائنه من موظفى وموظفات الوزارة الذين يُقبِلون على الشراء بنهم بعد ترك مكاتبهم وأعمالهم الرسمية .

وإليكم عرضاً موجزاً لما يحدث كل يوم فى السوق التلقائى المؤقت الذى ينعقد وينشط أمام أبواب الوزارة ..

ـ سيارة نصف نقل مجهزة بمكبر صوت تحمل نحو طنّين من الموز .. الكيلو بجنيه وربع ..

ـ سيارة نصف نقل أخرى تحمل مئات من أقفاص صغيرة مملوءة بالعنب الرومى .. القفص أربعة كيلو بتلاته جنيه .

ـ بائع يجر حمارين يحملان على ظهريهما أكداساً مكدسة من الفجل غير المغسول ويصيح بفخر زاعق : بطينه ولا غسيل البرك !

ـ عربة كارو يجرها حصان وعليها حمولة كاملة من الجزر الأصفر « المفيد للعينين » تباع حمولتها فى أقل من ساعة زمن .

ـ عربة كارو أخرى عليها حمولة كاملة من الخس ذى الفائدة الطبية المعروفة فى تنشيط الطاقة وعمل السلاطة .

ـ عربة تحمل نحو نصف طن من البطاطا النيئة .. وعربة تحمل أكواماً من « القثاء » لا يقل طول « القتاية » الواحدة عن نصف متر وقد يصل إلى متر .. واتنين كيلو بجنيه .. يا بلاش !

ـ ويشتد الزحام عادة قبيل موعد الإنصراف حول سيارة « ثلاجة » نصف نقل تبيع الفراخ المجمدة والسجق والهامبورجر .. وتحرص هذه السيارة على الحضور فى هذا الموعد المتأخر حتى لا تسيح البضاعة المجمدة قبل أن يصل الموظفون إلى بيوتهم .

□ وأخيراً تحدث الزيطة النهائية الكبرى أثناء الإنصراف وركوب الأتوبيسات للعودة إلى بيوتهم وبيوتهن ..

وبعيد رحيل آخر أتوبيس بموظفيه وموظفاته بنصف دقيقة فقط .. يعود الهدوء والسكون مرة أخرى وينعم سكان الأبراج والبيوت المطلة على الوزارة بشىء من الراحة من الساعة الثانية بعد الظهر حتى موعد حلول يوم العمل التالى فى الصباح المبكر ..

وبطبيعة الحال فإن للوزارة اختصاصاتها وأعمالها الرسمية التى تهم جمهور المتعاملين معها .. وهنا يدور التساؤل : كيف تمارس الوزارة أعمالها واختصاصاتها وموظفوها وموظفاتها يقومون بكل هذا النشاط اليومى الهائل فى شراء السلع ..

أغلب الظن أن الإجابة على هذا التساؤل فى غاية البساطة .. فلعلهم يقولون للناس أحد تلك الأقوال الشائعة فى الوزارات الأخرى .. مثل : فوت علينا بكرة .. أو فوت علينا بعد أسبوع .. أو يقولون بطريقة أكثر حزماً : فوت علينا زى اليومين دول السنة الجاية .. وربنا يسهل !!

الإيجاز فى عذاب البوتاجاز

شاع فى مصر هذه الأيام نوع جديد من العذاب اسمه « عذاب الأنابيب » .. وهو عذاب مادى ومعنوى يتعرض له كل المواطنين الذين فرغت أنابيبهم البوتاجازية ويريدون استبدالها بأنابيب أخرى ملآنة .

وعندما يتحقق النصر المؤزر ويفوز المواطن بأنبوبة ملآنة فإنه يتيه عجباً وفخراً وزهواً .. ويتباهى أمام أسرته وجيرانه وأصدقائه بذكائه الخارق وشجاعته الفائقة والمجهود العظيم الذى بذله فى الحصول على هذه الأنبوبة بعد طول الصبر والجهاد وقوة الإحتمال ..

واسمحوا لى أن أحكى لكم ما حدث بالضبط .. فبعد انقضاء يومين على فراغ أنبوبتنا .. وتوقفنا تماماً عن عمل الشاى أو القهوة أو أى طعام آخر تلزم النار لإنضاجه .. قالت لى زوجتى بلباقة ولكن بحزم ، أنى وحدى المسئول فى هذا البيت عن تغيير الأنبوبة .. وأن على أن أفعل ما فعله الشجعان من جيراننا الكبار .

ولم أضيع كثيراً من الوقت وسألت أصحاب التجارب السابقة فى كيفية تغيير الأنابيب وطرق حصولهم عليها من المستودعات المختصة .

ونصحنى كثيرون بأن أحمل الأنبوبة الفارغة وأتوجه بها بعد صلاة الفجر إلى المستودع لأحجز دورى فى الطوابير .. وقال بعض المجربين من ذوى الذكاء أن لكل مستودع من مستودعات توزيع أنابيب البوتاجاز « مافيا» خاصة به .. وأن على أن « أتفاهم » مع أحد زعماء هذه المافيا .. وأنت وشطارتك .

وبطبيعة الحال وضعت لنفسى خطة خاصة .. وضعت الأنبوبة الفارغة فى الحقيبة الخلفية بالسيارة وتوجهت بها إلى أقرب مستودع .. وكان ذلك قبيل وصول اللورى الذى يحمل الأنابيب الملآنة بنحو ربع ساعة ..

وعندما وصلت العربة ذات الأنابيب التى ينتظرها الجميع حدث هرج ومرج لامثيل له فى العالم كله .. وتزاحم الجميع وتلاحموا واختلط الحابل بالنابل .. وارتفع الصراخ حتى بلغ عنان السماء .. واندلعت المشاجرات النسائية والخناقات الرجالى .. واستخدمت على الفور عمليات اللكم والضرب بالبونيات وشد الشعور وتقطيع الهدوم والضرب بالروسيات والطعن بالأسلحة البيضاء .. وسالت دماء تحدثت عنها الصحف فيما بعد .

وتغاضيت عن هذا كله .. وتفرغت تماماً للإحساس بالهزيمة واليأس.. وفى نفس اللحظة التى قررت فيها الهروب من هذا العذاب .. لمحت أحد أعضاء « المافيا » .. وتوسمت فيه القدرة على مساعدتى لما يتمتع به من مظهر إجرامى واضح .. فتقدمت إليه وتفاهمت معه بكل ما

استطعت من ذكاء وأدب وقلت له : يا أيها الصايع الكبير .. يا سليل عتاة المجرمين فى مصر .. هلا ساعدتنى فى الحصول على أنبوبة مليانة وسأعطيك عشرة جنيهات .. !

فنظر إلى المجرم باستهزاء ، وقال بكل ما استطاع من القدرة على التطجين : لا .. آخد جنيه ونص وبريزتين !

فقلت بدهشة : اشمعنى .. ؟!

قال : جنيه ونص ثمن الأنبوبة وعشرين جنيه لى .. !!

وهنا فوجئت به وقد سقط على الأرض أثر صفعة قوية على قفاه سددها له مجرم آخر أقوى منه وأضخم جسماً .. وقال لى هذا المجرم الجديد بعد أن رفس القديم بقدمه : يابيه دول عيال حرامية .. هات العشرة جنيه وهات الأنبوبة الفاضية .. ودقيقة واحدة أجيب لك أنبوبة مليانة لحد العربية .. بس اطلع قدام شوية !

وأحسست على الفور بأنى أواجه مؤامرة كاملة فقلت له بذكاء يتناسب مع الحالة الإجرامية التى ربطت بيننا : لاشك أنك مجدع وتعرف أصول الإجرام .. سلم وأنا أسلم .. هات المليان وخد الفاضى .. والعشرة جنيه بدون بوسة !

فنظر إلى شذراً وقال وهو يستدير : كده .. طيب .. الناس مابقتش تآمن لبعضها يا جدعان !

وبعد نصف دقيقة عاد وهو يحمل على كتفه أنبوبة ألقاها على الأرض أمامى وقال لى : هات .. !

وتأكدت من أن الأنبوبة التى أحضرها ملآنة .. وأعطيته ما اتفقنا عليه والمسمى بيننا .. وكاد قلبى أن يطير فرحاً وأنا أضع الأنبوبة الجديدة فى حقيبة السيارة .. وأعود منتصراً إلى البيت .

ونحن نسكن والحمد لله فى عمارة عالية تحتل إحدى الوزارات أدوارها الستة الأولى .. وأوقفت السيارة بعيداً .. وحملت الأنبوبة على كتفى فوق فوطة صفراء .. ولاحظت على الفور أن جميع من بالشارع كانوا لايخفون نظرات الحسد المصوبة نحو الكنز الذى أحمله .. ولمحتنى موظفتان كانتا تقفان فى بلكونة الدور الثالث .. فقالت إحداهما بجرأة : عم يا بتاع البوتاجاز !

فقلت بخشوع : نعم يا ست !

قالت : الأنبوبة دى فاضية ولا مليانة ؟!

قلت : مليانة يا ست !

قالت : جايبها منين ؟!

قلت : من هناك ..

قالت : من هناك من عند مين ؟!

قلت : من عند الراجل ..

قالت : راجل مين ؟!

قلت ببلاهة : شفيق .. شفيق يا راجل !

وعندئذ ضحكت الموظفتان بشدة وانقطع الحوار بعد أن ظنتا أنى لاشك مجنون ..

وبدأ حوار آخر مع عامل المصعد ..

قال : إف ريحة بوتاجاز !

قلت : طبعاً ريحة بوتاجاز .. ماهى أنبوبة بوتاجاز ومليانة .. حتكون ريحتها إيه ؟!

ثم بدأ حوار من نوع جديد ، ولكنه حاسم هذه المرة ويدور حول مصائب كبار .. فقد قالت زوجتى وهى تضرب بيدها على صدرها : الأنبوبة دى بتنفس .. يادى المصيبة السودة .. البيت حيتحرق .. العمارة حتقع .. كلنا حنموت .. بلغ المطافى .. بلغ بتوع الإنقاذ المدنى .. !

وأصبت بالهلع الحقيقى الذى كنت أقرأ عنه فى الروايات ولا أعرفه .. وكان وقع الصدمة شديداً وهائلاً بعد أن تيقنت بالفعل من أن الأنبوبة « بتنفس » .. ولكن التنفيس كان بسيطاً وله صوت هادىء كالهمس أو الفحيح الخفيض يخرج من جانب الصمام .. وعلى الفور اتصلت بجارى الصديق ، وهو أستاذ ودكتور ومهندس وكيميائى وعالم له مؤلفات فى ميكانيكا التربة .. واستشرته حيال تلك المصيبة فقال دون أن يلتقط نفساً : « لا تبلغ البوليس حتى لا تروح فى داهية .. أمسك أعصابك جيداً وكن بارداً فأى سخونية ستشعل الحريقة فوراً .. انقع فوطة وجه كبيرة فى الماء ولفها حول عنق الأنبوبة .. لاتستخدم المصعد وأحمل هذه

الأنبوبة فوراً وأصعد بها إلى سطوح العمارة فى الدور الثانى والثلاثين .. وضعها فى وسط السطوح تماماً .. عندئذ ستتكفل التيارات الهوائية القوية بتوزيع سرسوب التنفيس فى جميع أجواء المدينة ..

وبدون جدال وبكل استسلام وهمة ، نفذت جميع هذه التعليمات بمنتهى السرعة ومنتهى الدقة .. ولكنى عانيت كثيراً فى إقناع زوجتى بالتزام الهدوء .. كانت تريد أن تأخذ العيال وتغادر البيت لأن الإنفجار سيحدث خلال دقائق والعمارة ستقع وسيشب حريق هائل .. !

الحقيقة أن قلبى وجعنى .. وارتميت مهدود الحيل على أحد المقاعد مستسلماً للمصير السيىء ..

ويبدو أنى غفوت لثوان معدودات .. حلمت فيها بأن الأنبوبة قد انفجرت فعلاً .. وطارت فى السماء باتجاه جنوبى شرقى .. وسقطت على كتيبة من الجيش العراقى الذى كان يحتل الكويت فأبادتها .. وأحسست بالرضا لأنى ساهمت فى عملية التحرير بهذه الطريقة البدائية ..

وفى الساعة السادسة إلا خمس دقائق من صباح اليوم اللتالى ، أمرتنى زوجتى بالصعود إلى السطوح لإحضار الأنبوبة التى تسرب غازها فى سماء القاهرة .

وصعدت متسحباً بحذر شديد .. وكان قلبى يدق بعنف كلما ازداد قربى من السطوح .. وفوجئت هناك بأن الأنبوبة قد اختفت .. !!

من المحتمل أن أحد هواة سرقة أنابيب البوتاجاز قد سرقها .. أو ربما سرقها لص خائب كان يظن أنها ملآنة ..

ولا أخفى القول بأنى لم أحزن لذلك ولم أزعل .. بل على العكس أحسست بالفرح والراحة .. ويكفينى أن أتخيل العقاب وسوء العذاب الذى سينزل على دماغ اللص حين يذهب ليستبدل الأنبوبة الفارغة بأخرى ملآنة ..

ومنذ تلك اللحظة المشئومة ، بدأت أسرتى تجربة إنسانية جديدة .. هى أكل الطعام نيئاً .. !!

قل حريقة .. ولا تقل مطافى !

من عبقرية الشعب المصرى انه ابتدع فى اللهجة الدارجة تسميات مناسبة لجهاز « الإطفاء » ورجاله وأدواته .. فهم يسمون رجال الإطفاء « بتوع الحريقة » .. ويقولون « بابور الحريقة » أو « عربية الحريقة » بدلاً من « سيارة الإطفاء » أو « سيارة المطافىء » ..

ومعنى هذا أن هناك ميلاً شعبياً عاماً فى تفضيل كلمة « حريقة » على كلمة « مطافىء » أو « إطفاء » . وذلك استناداً على أن « الحريقة » حقيقة واقعية مرئية ومحسوسة ، أما « الإطفاء » فهو أمر محتمل قد يحدث وقد لا يحدث ، بل وقد تقوم « الحريقة » باطفاء نفسها بنفسها ، بعد أن تأتى على كل شىء تريده .. فيعقّب أبناء الشعب المصرى على ذلك قائلين : قسمة ونصيب .. والحمد لله اللى جت على كده !

ومن المؤكد أن أبناء الشعب فى كل عصور التاريخ المصرى هم الذين كانوا يقومون بأنفسهم باطفاء الحريقة إذا اشتعلت ، ونادراً ما كانت تشتعل .

ومن الحقائق التاريخية والأثرية الغريبة أن هناك مئات الآلاف من

المناظر التى نقشها قدماء المصريين على الجدران لتصوير جميع الأعمال والأحوال والأفعال التى كانوا يمارسونها فى حياتهم اليومية فى كافة أوقات الليل والنهار وفى الدنيا والآخرة ، ومع ذلك فلا يوجد بين جميع هذه المناظر منظر واحد لتصوير « حريقة » أو « عربة حريقة » أو لشىء من هذا القبيل !

ويقول بعض المؤرخين الفاهمين أن ذلك يرجع إلى سببين واضحين : السبب الأول هو أن « أمناء المخازن » القدماء كانوا أمناء بحق وحقيق .. والسبب الثانى أن « كشوف الجرد السنوى » كانت تكتب بالحروف والكلمات والعلامات الهيروجليفية ، ولذلك فقد كان من الصعب تزويرها .

ويشير مؤرخون عرب كثيرون إلى حوادث الحريق التى شاهدوها أو وقعت فى مختلف العصور التاريخية لمصر ، خصوصاً فى فترة العصور الوسطى وعصور المماليك البحرية والبرجية والعثمانلية .. وأغلب هذه الحرائق كانت تقع فى الأفران أو فى دكاكين الحدادين وصناع الخوابير وحداوى الحمير .

وعلى سبيل المثال ورد وصف لحريق شب فى دكان المعلم « شيحة النورى » الحداد بالقرب من باب الفتوح من جهة الحسينية .. وقد استخدمت لاطفائه (١٨) قربة ماء بالإضافة إلى الحلل والطشوت والأناجر والكيزان التى ملأها الأهلى بالماء ودلقوها على النار .. «وكانت حريقة لها العجب ، ذات نار لها ألسنة من لهب » .

وفى بداية هذا القرن كانت مصر قد خطت خطوات واسعة نحو الحضارة ، وازدهرت حركة البناء والتعمير والتمدين ، وظهرت أهمية المصطلح الشعبى العام الذى يقول « الإحتياط واجب » .. ولذلك فقد انتشرت وحدات الإطفاء التى كانت تستخدم عربات على شكل براميل كبيرة مملوءة بالماء وتجرها الخيول أو البغال .. وما أن تشب حريقة حتى تنطلق تلك العربات ببغالها صوب المكان .. وكان الناس يوسعون لها السكة عن طيب خاطر .. وهناك تواجه تلك العربات أحد احتمالين : إما أن تكون الحريقة قد أتت على كل شىء وأطفأت نفسها ، فيقول لها النالس عندئذ : سعيكم مشكور وذنبكم مغفور .. وإما أن تكون النار مـازالت والعة فيبخّون عليها المـاء حتى تنطفىء ، فيهلل الناس ويكبرون .

وكانت مصر فى مقدمة الدول الإفريقية والآسيوية التى دخلتها سيارات الإطفاء ذات اللون الأحمر .. وجنود الإطفاء الذين كـانوا يلبسون خوذات لامعة مـن النحاس الأصفر .. وجميع رجال المطافىء هـؤلاء أو « بتوع الحريقة » كما يسميهم الشعب ، كانوا أشداء وشجعان لا يهابون النار ، كما كانوا محل احترام وتقدير من كل الناس .. خصوصاً من مدرسى اللغة العربية وتلاميذ المدارس فى كل الديار المصرية ، حيث كان الإهتمام على أشده بكتابة موضوع إنشاء تقليدى يعرفه الجميع هو : هب أنك سيارة إطفاء تتحدث عن نفسها فماذا تقول .. ؟!

وكان التلاميذ يقولون ويكتبون ملايين الموضوعات كلها مدح وتقريظ

فى « الإطفاء » وعرباته الحمراء ورجاله الأشداء وخوذاتهم الصفراء وفانلاتهم الزرقاء وأحذيتهم الطويلة السوداء .. وكم أبدع تلاميذ مصر . فى وصف همة وشجاعة وإقدام هؤلاء الرجال الصناديد وهم يقتحمون النيران دون خوف أو جبن لإطفاء الحريقة باقتدار .. ولانقاذ الناس وممتلكات الناس .. لذلك فقد كان الناس يصفقون لهم بعد إطفاء الحريقة ، ويدعون لهم بطول البقاء وبنيل الثواب من عند الله .. حتى جرس « بابور الحريقة » نفسه كان هو الآخر محل احترام واهتمام .. فحين كان يرن فى الشوارع أثناء انطلاق البابور نحو الحريق ، كان الناس جميعهم يقولون علناً : يا ساتر يارب ! .. ربنا يجيب العواقب سليمة .. !

وفى العصر الحديث ، عندما كان المصريون المحدثون يشاهدون مأساة حريق المعادى التى مزقت المشاعر وأوجعت القلوب ، نكبوا فى موضوعات الإنشاء التى كتبوها عندما كانوا تلاميذ فى المدارس .. وشاهدوا نوعاً قبيحاً من الإهمال وسوء التدريب وعدم الخبرة والدراية ونقص المعدات والجهل المطبق بأصول الإطفاء ولوازمه ، بالإضافة إلى الحوسة والتراخى والكسل والعمل « بشويش » كما الأفلام ذات التصوير البطىء .. لذلك فقد استخدم الأهالى طولة اللسان وقذف الطوب والحجارة .. !

ودار حديث بين اثنين من هؤلاء المصريين .. قال الأول للثانى : تصور أن بتوع الحريقة لا يبعدون عن العمارة المحترقة بأكثر من ٢٠٠ متر

ومع ذلك جاءوا متأخرين ساعة !

فقال الثانى ويبدو أنه كان أحد أبناء الشعب المكّارين : يا أخى ٢٠٠ متر مسافة طويلة جداً .. هل نسيت أن دار الأوبرا المصرية العظيمة قد احترقت بكاملها وهى لا تبعد أكثر من ٣٠ متراً عن المركز العمومى القومى لبتوع الحريقة فى مصر .. ؟!

فقال الأول قبل أن يلفظ أنفاسه : آه .. !!

وكانت هذه « الآه » هى آخر كلماته ..

ومن الحرائق ما يُضحك .. !

تطاول الناس على « بتوع الحريقة » الذين كانوا يحاولون اطفاء حريق المعادى وقذفوهم بالحجارة . وهذا سلوك لا يليق . ولا يصح أن يبدى الناس رأيهم فيما يرونه من اهمال أو تقصير . وذلك لعدة أسباب أهمها أن الحريقة كانت جامدة ، والنار كانت قايدة .. فماذا يفعل رجال الإطفاء حتى ولو كانوا مدربين على اطفاء الشموع أو اطفاء السجائر .. ؟!

أما ما يقال عن تلك الصور المفزعة المحزنة للأطفال والأمهات والرجال الذين قذفوا بأنفسهم من الدور الرابع عشر بعد أن عجز رجال الإطفاء عن انقاذهم فهو أمر بسيط ، لأن الأعمار بيد الله ونصيبهم كده .. وكل شىء مقدر ومكتوب .. فلماذا يجهد رجال الإطفاء أنفسهم أو يبذلون أى مجهود لمواجهة القدر المحسوب .. ؟!

أليس من الأفضل أن يوفروا جهدهم هذا ليتمكنوا من غسل عربات الاطفاء الحمراء وتلميعها حتى تبدو فى أبهى منظر ، وحتى يتمكنوا من اعطاء رؤسائهم « التمام » مع تحيتهم بتعظيم سلام ، والقول بكل فخر واعتزاز كله تمام يا فندم .. كله تمام !

وإذا كان أهل المعادى قد تصرفوا بهذه الطريقة التراچيدية ، فإن أهل شبرا تصرفوا من قبلهم بطريقة كوميدية . ويبدو انكم تريدون أن تعرفوا

الحكاية ، لذلك فسوف أرويها لكم من البداية .

البرج الذى نسكن فيه يطل على النيل بمنطقة أغا خان بشبرا ويتألف من اثنين وثلاثين دوراً .. ومنذ نحو عام فى الساعة الواحدة بعد ظهر يوم جمعة [وهو نفس الوقت الذى شبت فيه حريقة المعادى] شبت حريقة فى الدور الحادى والعشرين ببرجنا ، وامتلأت الدنيا من حولنا بالدخان .

بطبيعة الحال أصيب صاحب الشقة المحترقة بحالة هستيرية ، ومع ذلك فقد أنقذ جميع أفراد أسرته وغادروا الشقة نزولاً على السلالم . ولكنه أخذ يصيح بأعلى صوته منبهاً الجيران أن يتركوا شققهم وينزلوا إلى الشارع لأن شقته فيها ثلاث أنابيب بوتاجاز ستنفجر عاجلاً بفعل النار وستقع مصيبة كبرى ..

وفر جميع السكان ونزلوا إلى الشارع وأيديهم فوق قلوبهم وعيونهم مصوبة إلى أعلى .. إلى أعمدة الدخان التى تخرج كالنافورات من جميع نوافذ وشرفات الشقة .

ولاشك فى أن أكثر من مائة من الناس الطيبين من سكان المنطقة اتصلوا بالتليفونات لابلاغ الشرطة ورجال المطافى .. وكنت أنا واحداً من هؤلاء المتصلين .

ومن خيبتى القوية اتصلت بقسم شبرا .. وأخذت « أرن » أنا وجرس التليفون لأكثر من خمس دقائق حتى رد على صوت يبدو أنه ريفى جهول يتحدث فى التليفون لأول مرة فى حياته ، قال :

ـ آلو انت مين وعايز إيه ؟

ـ فيه حريقة كبيرة وعايز أبلغ عنها .

ـ طب واحنا مالنا .. ما تبلغ بتوع الحريقة .

ـ يا بنى وصلنى بالمأمور أو أى ضابط نوبتجى .

ـ أوصلك ازاى .. أصل أنا مش بتاع التليفون .

ـ أمال انت مين .. ؟

ـ أنا البرنجى بتاع البوابة ؟

ـ أمال فين بتاع السويتش ؟

ـ بتاع إيه .. ؟

ـ يا بنى بتاع التليفون .. اللى بيشغّل التليفون .

ـ راح يصلى .

ـ طب انده لى أى أمين شرطة .

ـ أمين شرطة جوه بيكتب محضر .

ـ طب معلش.. انده له قوام.. اعمل معروف يا بنى .. الحريقة والعة!

وفى الحقيقة رد على صوت أمين الشرطة وكان مهذباً للغاية وهو

يسألنى عن اسمى الثلاثى ورقم التليفون الذى أتحدث منه وعنوان الحريقة .. وأجبت على كل أسئلته الأخرى عن طيب خاطر ، وبالتالى ازداد أملى فى النجاح فى ابلاغ الشرطة بموقع الحريقة .. ولكن هذا الأمل تبدد فجأة حين قال لى أمين الشرطة بأدب بالغ إن عنوان برجنا يتبع قسم الساحل .. وتكرم باعطائى رقم تليفون قسم الساحل ، بل وتعطف أيضاً وأبلغنى برقم التليفون المباشر لمأمور القسم .

وعندما نزلت إلى الشارع لألحق باسرتى فوجئت بانتشار حالة من الرعب والهلع على وجوه الجميع الذين كانوا متجمعين تحت العمارة منتظرين لحظة انفجارات أنابيب البوتاجاز الثلاث وماسوف تحدثه من خراب ودمار شامل ومزيد من النيران المتأججة التى ستلتهم الشقق الأخرى وفيها ما فيها من أنابيب البوتاجاز .

ونصحنا ناصح من الواقفين أن نبعد عن هذا المكان حتى نتقى الحوائط التى ستتهدم وتنهار وتسقط فوق رؤوسنا .. فأطاع البعض وابتعدوا بالفعل نحو ثلاثة أمتار بينما ابتعد بعض الخوافين نحو خمسة أمتار .. وكان الدخان المتدفق كالنوافير اللولبية ذا لون أسود كثيف ، فقال أحد العارفين أن هذا الدخان الأسود نتيجة لإحتراق الأشياء المصنوعة من الألياف الصناعية مثل الموكيت والفورمايكا والأخشاب الحبيبية .

وعندما ازداد اندفاع الدخان وتحول إلى لون رمادى غامق ، قال بعض العارفين الآخرين أنه ناتج عن احتراق الحاجات المصنوعة من القطن

كمراتب السرائر والستائر والهدوم ، ويحتمل أيضاً أن يكون ناتجاً عن احتراق الموبيليا إذا كانت مدهونة باللاكيه أو الجمالكه .

وفجأة اندفع دخان كثيف أبيض اللون ، وكان يحدث صوتاً رهيباً من شدة اندفاعه . فقال أحد الواقفين ـ ويبدو أنه كان أكثرهم علماً ـ أن هذا الدخان الأبيض نتيجة لاشتعال أنابيب غاز الفريون اللى فى الثلاجة أو فى أجهزة التكييف .. وتساءل فى خبرة : هى الشقة فيها أجهزة تكييف ؟

فقال أحد الواقفين : فيها ثلاثة .

فقال الخبير بثقة : مش قلت لكم !

كل هذا ولا حس ولا خبر عن بتوع الحريقة أو بوابير الحريقة .. وزداد قلق الناس خصوصاً عندما شاع بينهم فجأة أن النار من الضرورى أن تكون قد وصلت الآن إلى المطبخ وستنفجر فوراً أنبوبة البوتاجاز والأنبوبة الإحتياطى .. واستقر رأى الجميع على أن هاتين الأنبوبتين هما مصدر الخطر المدمر الداهم .

وقال أحد السكان وهو يحسم الأمر ويعاتب صاحب الشقة المحترقة فى نفس الوقت :

ـ كان مفروض ان حضرتك قبل ما تنزل كنت فتحت كل الحنفيات اللى فى الشقة !

وعندئذ تهاوى صاحب الشقة وسقط على الأرض مغمى عليه ، وبدأت مشكلة جديدة هى طلب الإسعاف إلى جانب استعجال بتوع

الحريقة.

وتناهى إلى آذان السامعين صوت سارينة تدوى من بعيد، فشاع نوع من الفرح المحزن ولزم الجميع الصمت، واشرأبوا ليروا بابور الحريقة منطلقاً بأقصى سرعة فى طريق كورنيش النيل متجاوزاً منطقة الحريقة التى أصبحت وقتئذ على أشدها .. واندهش الجميع من أجل ذلك وتعجبوا .. إلا أن بعض الأذكياء قالوا ربما تكون هناك حريقة أخرى قبلنا.. أبلغوهم عنها يوم أمس أو أمس الأول ! .. وقال بعض من هم أقل ذكاء، أن هذا البابور السريع كان قادماً لحريقتنا، ولكن يبدو أن الذى أبلغهم قد أخطأ فى وصف العنوان فتاهوا .. !

واستقر الرأى أخيراً على ضرورة إيفاد بعض الشباب ليقفوا على ناصية الشارع ليشيروا إلى بوابير الحريقة حين تمر ويوجهونها الوجهة الصحيحة.

وبعد دقائق حافلة بمشاعر الغيظ، عاد صوت السارينة إلى الأسماع مرة أخرى، وأحس الجميع على الفور بنوع من الطمأنينة المشوبة بالحذر والترقب .. وأخيراً وصلت عربة المطافى بسارينتها القوية التى تدوى باستمرار ودون انقطاع .. وكان من الواضح أن السارينة « علّقت » .. والحقيقة أن السائق بذل جهداً كبيراً وهو يفتش بين أجزاء موتور السيارة عن وسيلة لإيقاف هذا الصوت المزعج.

وقالت إحدى الساكنات سليطات اللسان : إيه ده .. ساعة عقبال ما تيجوا . وقالت ساكنة أخرى : إيش حال انكم فى الشارع اللى ورانا وبيننا وبينكم نص كيلو .. وقالت ثالثة : وهى عربية مطافى واحدة حتعمل إيه فى حريقة زى دى .. ؟!

وهنا تدخل الأزواج الحِمِشُون لمنع المزيد من هذه التعليقات النسائية المستفزة . وقالوا بحسم : كفاية بقى .. خلّوهم يشوفوا شغلهم .

وبدأ بتوع الحريقة شغلهم على الفور .. فاصطفوا بجوار العربة ووقفوا انتباه . وتقدم منهم ضابط شاب برتبة ملازم كان يقودهم ، وزعق فيهم بشدة : فرقة .. صفا .. فرقة انتباه ! ..

ثم بدأ ديالوج منغّم غريب وبصوت مرتفع ..

قال الضابط : رجل المطافى .. ؟

قالت الفرقة : قوة !

الضابط : رجل المطافى .. ؟

الفرقة : شجاعة !

الضابط : رجل المطافى .. ؟

الفرقة : تضحية !!

الضابط : أسود ؟؟!

الفرقة : أسود يا فندم !!

الضابط : إلى اليمين در .. تقدم بالخطوة السريعة نحو خراطيم السيارة وابدأ العمل !

واندفع الرجال نحو مواضع الخراطيم بالسيارة وأنزلوها وبدأوا فى مدها على الأرض وتوصيلها ببعضها .. وفى هذه الأثناء لاحظ الضابط أن الحريقة فى شقة مرتفعة ، فسأل أحد الواقفين :

ـ هى الحريقة فى أنهى دور .. ؟

ـ فى الدور واحد وعشرين .

ـ ياه .. يعنى أكثر من ٦٠ متر .. واحنا السلم اللى معانا ٩ متر .. يبقى لازم نجيب السلم الالكترونى .. مقولتوش ليه من الأول .. مين الحمار اللى بلغ على الحريقة ؟!

وعلى الفور تحدث الضابط فى جهاز « التوكى ووكى » اللاسلكى الذى كان يحمله . وقال :

ـ عاوزين السلم الالكترونى يا باشا .. الحريقة فى الدور واحد وعشرين .

ـ احنا بعتنا العربية اليابانى وفيها السلم الالكترونى .. هى لسه ما وصلتش ؟

ـ لا .. ما وصلتش يا باشا .

ـ هى فى السكة ..

ـ المنطقة يا فندم مفيهاش حنفية حريق .. عايزين حملة مية يا فندم .

ـ عارفين .. وعربيات المية فى السكة .

ـ شكراً يا فندم !

فى تلك الأثناء كانت إحدى الأمهات تولول بعد أن علمت أن أبناءها الشبان الثلاثة قد اختفوا .. وأخبرها البعض أنهم شاهدوهم وهم يدخلون إلى البرج الذى حدثت فيه الحريقة .. ولم تنقطع ولولة تلك الأم ولاصراخها إلا بعد أن شوهد الأبناء الشبان الثلاثة وهم يخرجون واحداً بعد الآخر ، وكل منهم يحمل أنبوبة بوتاجاز على كتفه .. لقد اقتحم هؤلاء الأبطال الشقة المحترقة ، وخلعوا الأنابيب عن خراطيمها ، ونزلوا بها من سلم الخدم .. !

وعندئذ صفق الناس كلهم وهللوا .. وأطلقوا اسم « أم الأبطال » على تلك الأم المباركة .. وارتاح الجميع لزوال الخطر الداهم ، بالرغم من أن النار مازالت مشتعلة ومازال الدخان كثيفاً

وصدر الأمر لأحد الرجال بأن يعتلى نهاية السلّم ، وربطوه فيه بأحزمة جلدية عريضة .. وتم توصيل الخراطيم وبدأ السلم فى الصعود .. وصدر أمر آخر باطلاق المياه فى الخراطيم ..

وعلى الفور حدث شيئان فى منتهى الغرابة .. فقد اندفعت المياه بقوة كطلقات المدفع الرشاش من مجموعة كبيرة جداً من الثقوب الممتدة على طول الخراطيم كلها ، وأغرقت الناس والشرطة وبتوع الحريقة وكل

المتجمعين فى الموقع .. كما أخذ السلم الالكترونى يميل نحو اليمين وإلى أسفل .. وصدرت الأوامر بحدة إلى من يقوم بتشغيل جهاز السلم بأن يشغله بطريقة كويسه .. ولعب الرجل فى بعض أزرار الجهاز ، فأخذ السلم يتجه إلى أعلى ببطء ، ولكنه أخذ يدور فى كل اتجاه من اليمين إلى اليسار ثم إلى الأمام والخلف .. وكان الماء المندفع فى كل اتجاه من بزبوز الخرطوم يغرق شبابيك البيوت المجاورة ويسقط كالسيل المنهمر على الأرض وفوق رؤوس الأشهاد جميعاً ..

وبدأ الرجل الذى كان يمسك بمدفع الخرطوم فى أعلى السلم يصرخ ويصيح بأعلى صوته : نزلونى .. نزلونى !

وأنزلوه فعلاً بعد أن أنزلوا السلم .. وما أن قفز الرجل إلى الأرض حتى استقام ، وخبط قدميه فى تعظيم سلام وقال للضابط : كله تمام .. الحريقة انطفت يا فندم !

ولدهشتنا الشديدة كانت الحريقة قد انطفأت فعلاً ، ولم يعد هناك أى دخان يخرج من نوافذ الشقة لأن النار قد أتت على كل شىء ، ولم يعد هناك شىء يحترق ! وعندئذ صفق الشباب لرجال الحريق وصفروا .. !

وبدأ السكان الذين كانوا متجمعين فى الشارع فى العودة إلى مساكنهم فى الأبراج العالية .. ولكن أحد الباشوات منعهم من الدخول، وطلب منهم أن يثبتوا أولاً أنهم سكان فى تلك الأبراج .. وعندئذ انبرى

ساكن طويل اللسان وقال للباشا : يجب عليكم أنتم أن تثبتوا لنا أنكم رجال شرطة وبتوع حريقة بحق وحقيق .. !

ومازالت قضية إهانة موظف عمومى أثناء تأدية عمله معروضة أمام المحاكم .. !

احترس من النقاشين

طوبى لكل من فكر ودبر هذه الأمور الظاهرة .. وقرر إزالة الغبار عن وجه القاهرة .. وبوركت كل يد إمتدت بفرشاة لتخفى القذارة ، وتعيد النضارة .. ومن ذا الذى كان يتصور أن البيوت والعمارات ، وواجهات العقارات ، يمكن أن تصبح بمثل هذا الجمال والنظافة .. وهذا القدر الكبير من الظرف واللطافة .

لقد أصبحت الواجهات المرئية ، فى بعض الشوارع الرئيسية ، مذهونة بالبياض ، بعد طول سواد ، وكما يقال ، على سبيل المثال ، فإن بيوت شارع رمسيس عاد إليها الشباب ، بعد أن كانت غارقة فى الغبار والهباب ، فسبحان مغير الأحوال ، وملهم المسئولين بالأفعال ، بدلاً من قول الأقوال ، فأحسوا أخيراً بأن هناك شيئاً اسمه النظافة والجمال .

ولكن لنا على هذا الدهان بعض الملاحظات ، وإن كنا نعرف الأسباب والمبررات .. فمن المعروف أن « أسطوات » مصر المعاصرة ، فى سائر المدن وفى القاهرة ، أصبحوا يحبون المال حباً جماً ، ويحرصون على أخذ المبالغ دون أن يبذلوا جهداً أو يحملوا هماً .. وأصبح عملهم يتم باستخدام اللَكْلَكَة ، والكثير من الأونطة والفبركة .. وغالباً ما ينيلون عملهم بستين نيلة ، ولهم فى ذلك أكثر من حيلة .

لذلك فقد دهنوا بعض الواجهات ، الظاهرات الواضحات ، وتركوا جوانب البيوت دون دهان ، لتشكو أهمال الإنسان فى هذا الزمان .. وأصبحت بعض البيوت تبدو كالرجل الأنيق ، صاحب الذوق الرقيق .. الذى يلبس قميصاً فاخراً وبيبيوناً ، ولكنه لا يلبس حذاءً ولا بنطلوناً .. كما أن بعض العقارات قد دهنت بطريقة التلطيش ، كما لو كان دهانها بدون فلوس ولا بقشيش ، فظهرت وكأنها أصيبت بالبهاق ، وتعانى من الإرهاق والإنزلاق .. فى حين أن عقارات أخرى قد دهنت بإتقان ، حيث يسكنها بعض المهمين من الإنس والجان .. !

وأخشى ما نخشاه ، ولانطلب هذا أو نتمناه .. أن هذا الدهان الأبيض الكالح ، قد يزول أو يصبح غير صالح ، وتبوظ الأمور ، بعد أسابيع أو شهور ، وتعود ريم ، إلى شكلها القديم ، وكأنك يا «أبو زيت».. ما دهنت ولا غزيت .. !

وبمناسبة دهان البيوت من الخارج .. وهو كما رأيتم موضوع هائج ومائج .. تذكر عملية مهببة ومنيلة بستين نيلة .. وليس لنال فى تجنبها وسيلة ولا حيلة .. وهى عملية دهان البيوت من الداخل .. التى تكلفنا المبلغ الكبير الطائل .. ولا تترك لنا سوى بقع بمختلف الألوان والسوائل .

قالت لنا الزوجة المصون .. كلاماً واضح المضمون .. هو أن الحيطان ، أصبحت فى حاجة إلى دهان .. وأن كالح الألون قد ظهر بفعل الزمان .

ولكنى تنبهت إلى أن الموضوع ليس سهلاً إلى هذا الحد .. وأنه فى حقيقة الأمر جد فى جد .. يحطم الرجال ويعرض حيلهم إلى الكد والهد.. فسألت صديقاً من المجربين من ذوى الرأى الحصيف الرصين .. قلت له ما رأيك يا محمود ، يا صاحب القلب الودود .. دلنى على النقاش الظريف ، الذى حول بيتك إلى بيت نظيف .. وأخبرنى شيئاً عن التكاليف ..

قال محمود : إياك إياك .. وأنفد بجلدك من هذا الهلاك .. فدهان البيوت أصبح يخرب البيوت ، ويكركب العفش ، ويبوظ الفرش ، ويكلف مئات الجنيهات ، وبضع مئات أخرى من الدولارات .. فضلاً عن هد الحيل ، من كثرة النقل والزحزحة والشيل .. فقلت له فى سبيل هذا الدهان ، كل شىء على هان .. وأخبرنى بالله عليك باسم النقاش ، فأنا لا أريد أن أدهن البيت ببلاش ..

ودلنى محمود على نقاش ، هواش أونطجى بكاش ، من طبقة تسمى الأوباش .. لخبط دنيانا ، وأذاقنا المر والهوانا .. وأخذ يبالغ ، فى طلب المبالغ .. فأعطيته مرتبى .. ورهنت له مكتبى .. وحولت إليه كل ما ورثته عن أبى .. وهو لا يشبع من الطلبات ، ولاينقطع لحظة عن قول هات هات .. !

وكان معه صبى ، طماع وأكول وغبى ، لا يفعل شيئاً سوى شرب الشاى ، وإذا أدى عملاً يقول آى آى .. وبعد أسابيع من العذاب ..

انتهى هذا الدهان الهباب .. وتغير لون كل شيء ، بطريقة تبعث على القيء .. وما طلبنا طلاءه باللون الأخضر ، تم دهانه بلون أحمر أو أصفر.. فضلاً عن انتشار البقع على كل قطع الأثاث ، وعلى وجوه وأجسام أهل البيت من الذكور والإناث .. !

ونتيجة لهذه التجربة ، المنيلة والمهيبة ، أقدم هذا البلاغ للناس أجمعين الحذار الحذار .. واحترسوا من النقاشين .. !!

الشمّامون والحشاشون .. أيام زمان !

قليلون من يعرفون أن الممثل الكوميدى « حسن فائق » كان فى أول ظهوره « مونولوجست » يغنى المونولوجات فى الملاهى وفى دور المسرح بين فصول المسرحيات .. وكان أشهر مونولوج غناه يقول فيه :

شم الكوكايين خلاّنى مسكين

وعينىّ فى راسى رايحين جايين ..

ولم يكن هذا المونولوج عبثاً أو تسلية ، بل كان موقفاً نبيلاً من جانب الفنانين الشعبيين المصريين لمواجهة خطر داهم أوشك أن يكبس على أنفاس الأمة .. ففى خلال الحرب العالمية الأولى [١٩١٤ ـ ١٩١٨] انتشر تعاطى الكوكايين بين جميع الطبقات .. ويقال أن قوات الإحتلال البريطانى بمصر قد أحضرت كميات هائلة من الكوكايين لاعطاء جرعات يومية منها إلى الحمير والخيول والبغال التى كانت مستخدمة لنقل المجهود الحربى وجر المدافع وحمل الذخائر بين مصر وفلسطين والشام حيث دارت المعارك الحربية بين الجيوش البريطانية والتركية .. وذلك قبل التوسع فى استخدام اللوارى والدبابات والسيارات ..

وقد تسربت كميات كبيرة من هذا الكوكايين إلى الشعب .. وكانت

تباع بأرخص الأثمان .. فانتشرت بين كل الطبقات .. وهكذا حل البشر محل الحمير والبغال .. وامتلأت البلاد بالشهامين من مدمنى الكوكايين .

ويقال أن القائد الانجليزى « رسل باشا » بدأ يدرك خطورة الموقف حين لاحظ أن ظاهرة تعاطى الكوكايين قد انتشرت أيضاً بين غالبية الجنود والضباط من الانجليز والهنود والزنوج والموريشيان ، وأوشك جيش الاحتلال البريطانى أن يتحول إلى جيش من المساطيل والشهامين .

وقد ظهرت فى بريطانيا فى ذلك الوقت نظرية جديدة فى « علم النفس الجنائى » لتحليل ظاهرة الإدمان .. وتقول هذه النظرية أن المدمن يحاول الحصول على المخدرات أو المسكرات التى يدمنها مهما كان ثمنها .. وأنه لا يمانع فى انفاق كل أمواله وممتلكاته فى سبيل الحصول على هذه الأشياء .. بل ولا يمانع أيضاً فى ارتكاب جريمة القتل إذا اقتضى الحال ، وذلك لاستمرار حصوله على الجرعات التى تزداد كمياتها باستمرار لتحدث الأثر المطلوب حسب درجة الإدمان التى وصل إليها المدمن .

وتقول النظرية أن الإدمان ينتج عادة من تناول أو تعاطى الخمور والكحوليات وأنواع المخدرات كالأفيون ومشتقاته والكوكايين والهيروبين والنيكوتين والحشيش .

ويقول الجانب الطبى من هذه النظرية أن الإدمان يحدث بمجرد

تعاطى جرعتين متتاليتين من بعض أنواع السموم البيضاء الخطيرة كالكوكايين والهيروين .. كما يحدث بعد تعاطى جرعات تقل أو تكثر حسب درجة تأثير المخدرات الأقل تأثيراً مثل الحشيش .

ومن الناحية الطبية أيضاً فإن المدمن إذا حرم أو توقف عن تعاطى المادة التى أدمنها ، فإنه يصاب على الفور باضطرابات عصبية ونفسية واضطرابات فسيولوجية يظهر أثرها فى الأعضاء والأجهزة الجسمانية ، فتحمر عيناه ويزوغ بصره وتنهمر دموعه ويكثر بصاقه ونزول المخاط من أنفه ، بالإضافة إلى الارتعاشات العصبية التى تصيب يديه وقدميه وسلسلة ظهره ، فلا يقوى فى كثير من الأحيان على الوقوف أو السير فى ثبات .. وفوق هذا كله فإنه يصاب بصداع فظيع قد يؤدى به إلى الجنون فى أغلب الأحيان .

وقد تفتق ذهن « رسل باشا » إلى حل غريب فتساهل مع عصابات التهريب التى استوردت كميات هائلة من الحشيش الهندى ، لتحل هذه المادة المخدرة الأقل تأثيراً محل مادة الكوكايين المدمرة والبالغة التأثير .. كما جعل عقوبة تعاطى الحشيش عقوبة « هايفة » تختلف حسب الأحوال .

كانت هناك عقوبة « التجريس » وتوقع على المساطيل الذين يدخنون الحشيش فى « الغرز » أو المقاهى .. فبعد « الكبسة » والقبض على الحشاشين يجبر كل حشاش منهم على حمل إحدى أدوات

التدخين كالجوزة والمعسل ومنقد الفحم والماشة والحجارة .. ويشترك الجميع فى « زفة » تحت إشراف البوليس .. وتلف الزفة فى شوارع وحوارى المنطقة لفضح هؤلاء الحشاشين بين أهلهم وذويهم وجيرانهم ، وكان الأطفال يسيرون وراء الزفة وهم يهتفون : الحشاشين أهم .. أهم .. المساطيل أهم .. أهم !

أما العقوبة الجنائية فقد كانت الحبس يوماً واحداً بتخشيبة نقطة البوليس أو دفع غرامة لا تتجاوز خمسة عشر قرشاً .

وهكذا قام الإحتلال البريطانى بادخال الكوكايين إلى مصر .. ثم قام بالقضاء على ظاهرة شم الكوكايين حتى لا يمتد أثرها على ضباطه وجنوده .. ثم أغرق مصر بأطنان الحشيش الهندى ، وذلك رحمة بالمصريين باعتبار الحشيش أقل وطأة عن غيره من المخدرات المدمرة .. ولضمان انتشار المساطيل وهم فى العادة أقل رغبة وقدرة على النضال ومكافحة الاستعمار .

أما الحديث عن المساطيل والشمامين فى العصر الحديث ، فهو حديث مأساوى طويل .. ويحتاج إلى « قعدة » أخرى .. فاستعدوا .. !!

تسلية الصيام .. بفاخر الطعام !

لوز عين جمل بندق مشمشية قراصيا جوز هند صنوبر تين قمر الدين كنافة قطايف تمرهندى كركديه بلح أبريمى زبيب خشاف إفطار سحور إمساك إمساكية فانوس مسحراتى مدفع فول لبن زبادى كحك غريّبة قراقيش منين بسكويت سكر بودره سمك بكلاه فوازير مغرب هلال ..

هذا حصر مبدئى ليس جامعاً ولا مانعاً لمجموعة من المفردات الرمضانية وملحقاتها الخاصة بعيد الفطر .. وهى المفردات التى توارثناها جيلاً بعد جيل عن آباء الآباء وأجداد الأجداد .. حتى رسخ الاعتقاد بأن شهر رمضان الكريم لا يتكون ولا يكون إلا بذكر وترديد هذه المفردات قولاً وعملاً خلال أيام الشهر الكريم أكثر من مائة مرة !

وإذا تأملنا هذه المفردات بقليل من التبصر ، لوجدنا أن ٩٩,٩٪ منها أشياء تؤكل ، بل ويسبب أكلها نوعاً من المتعة والإحساس باللذة .. بل وأصبحنا نتفاخر بذكر ما التهمناه من تلك المفردات إلى جانب ما ابتلعناه من الطعام صنوفاً صنوفاً .. وهذا هو وجه العجب فى الموضوع كله ..

لقد أصبحنا نجيد لعبة تحويل النقيض إلى النقيض .. وحولنا هذا الشهر المبارك العظيم إلى ثلاثين يوماً وليلة نستمتع فيها بتناول أشهى أنواع الطعام .. فى حين أننا نعرف جميعاً أن هذا الشهر الكريم قد شرع من أجل حكمة الصيام .. وهى حكمة تذكرنا بضرورة الإحساس بالجوع والعطش والتوقف عن تناول الطعام والشراب .

رحم الله آباءنا وأجدادنا الذين أورثونا هذا الوضع المعكوس ، حتى كدنا نعتقد ـ بل لقد اعتقدنا فعلاً اعتقاداً جماعياً راسخاً ـ بأن شهر رمضان أصبح فرصة شرعية للإحساس بالتخمة وتناول أضعاف أضعاف ماكنا نتناوله فى الأشهر العادية الأخرى .. وبدلاً من استشعار الجوع أصبحنا نجرى وراء متعة ملء البطون والتلذذ بأفخر ما نستطيع أن نصل إليه وندبره من أنواع وأشكال المأكولات الرمضانية الشهيرة .

بل لقد أصبحت الحكومات النابهة تقيس مدى نجاحها فى خدمة الجماهير بمدى قدرتها والتسهيلات التى تقوم بها لتوفير البضائع الرمضانية المأكولة فى الأسواق .. وكأنها بذلك تشجع الناس على الإسراف فى استهلاك الطعام .

أما الإذاعة والتليفزيون فقد تبنى كل منهما فكرة غريبة مؤداها أن شهر رمضان الكريم هو الشهر الوحيد من بين شهور السنة الملائم اللأحاجى والفوازير .. وتخصصت الإذاعة فى بث عشرة أنواع على الأقل من الفوازير المسموعة ، كما تخصص التليفزيون فى نوع آخر من الفوازير

التى تقوم على الرقص والغناء والتنطيط لشرح فزورة سهلة واضحة يعرف حلها أغبى حمار مهما كان غبياً ..

ناهيك عن البرامج الأخرى التى تجيّش لها جيوش الفنانين والمشهورين ليحلو سهر الناس حتى موعد السحور ..

ومع ذلك كله .. فلا يسعنى إلا أن أقول مع القائلين : رمضان كريم .. وكل عام ونحن جميعاً بخير .. وقدرة على تناول المكسرات ، وابتلاع فاخر الطعام .. لنسلّى به فريضة الصيام .. والسلام !

ذكريات رمضانية ..
من الفوطية وباب الشعرية !

آه من زمان وذكريات أيام زمان .. أن كل من عاش فى تلك الأيام وتذوق ذكرياتها الجميلة الحلوة ، لابد أن يشعر بالدهشة مما يحدث الآن ، فى هذا الزمان الأغبر كما يصفه الكثيرون .

لن أحكى عن الرخص والرخاء .. ولا عن قيمة الجنيه والريال والشلن والقرش والمليم .. ولا عن البساطة والطيبة التى كان يتميز بها الجميع من رجال ونساء وأطفال .. سأحكى لكم عن بعض ذكرياتى الطفولية فى منطقة « الفوطية » .. وهى العاصمة الشعبية لحى باب الشعرية ، الذى يعتبر من أكثر أحياء القاهرة القديمة أصالة وشعبية .

وقد سميت منطقة « الفوطية » بهذا الإسم ، لأنها كانت سوقاً لمتاجر ومصانع « الفوط » القطنية . كما أخذت المنطقة أهميتها لأنها كانت تتوسط سوق البقر وسوق الزلط والخراطين وسوق الجراية .

كان رمضان فى تلك الأيام الجميلة له طعم خاص .. وحين كان يهل هلاله الكريم ، تنقلب دنيانا نحن الأطفال ، ونحس أن طعم الحياة قد تغير ، وأصبح مليئاً با لمشمشية وقمر الدين والكنافة والقطايف والتمر المنقوع .

وكنا ندرك أن الشهر الكريم قد اقترب عندما نشاهد دكاكين السمكرية وقد امتلأت بالفوانيس المصنوعة من الصفيح والزجاج الملون المصبوغ .. ونشاهد الشوادر التى كانت تقيمها الأفران لصنع الكنافة والقطايف ، ودكاكين البقالين وقد امتلأت بأقماع السكر والنُقْل والمسكرات .

ومنذ ليلة الرؤية وعلى مدى الشهر الكريم بطوله ، تبدأ حياة جديدة يلعب فيها الأطفال أهم الأدوار .. فلم تكن هناك فوازير ولا برامج سخيفة يتساخف فيها المذيعون والفنانون .. لسبب واحد بسيط ، فلم يكن التليڤزيون قد وصل بعد إلى البلاد .. ولم تكن أجهزة الراديو منتشرة كل هذا الإنتشار الذى نعرفه الآن .

وكان الناس يعرفون موعد الإفطار بالسليقة أو بسماع المدفع أو بسماع أذان المغرب يلعلع من فوق مآذن الجوامع بلا مكبرات صوت ولا ميكروفونات .

وفى منطقة « الفوطية » لم يكن هناك سوى جامعين اثنين هما : جامع سيدى الزاهر وجامع سيدى الركراكى .. وكانت العادة أن يتجمع الأطفال أمام كل جامع قبيل أذان المغرب بنحو نصف ساعة .. وما أن يطل علينا المؤذن من أعلى المئذنة ، ويشرع فى وضع يده فوق أذنه ويبدأ التكبير : الله أكبر الله أكبر .. حتى تنطلق مجموعات الأطفال فى كل اتجاه منشدين نشيداً توارثته الأجيال .. وتنطلق أصواتنا العالية فى كل الحوارى والأزقة والدروب مرددين كلمات النشيد وألحانه الحلوة :

« يا صايم قوم افطر .. ع الكحكة أم سكر .. والعيش المقمّر .. قمّرته حليمة .. بنت الست كريمة .. إشرب .. وافطر .. وصلى ع النبى ! » .

وعندئذ كان أهالى الحى يعلمون أن موعد الإفطار قد حان .. وتمتد الأيادى إلى صوانى القُلل الموضوعة فى الطراوة ، لتعب منها الماء عباً وينطفىء بالتالى لهيب العطش .. ثم يبدأون الجلوس إلى الطبالى الحافلة بأطباق الطعام ، وتبدأ عملية الاشباع واطفاء لهيب الجوع ..

وكانت جماعة الأطفال التى انتمى إليها تحت رئاسة ولد اسمه «هادى» .. وقد أخطأ أبوه خطأ عظيماً عندما اختار له هذا الإسم اللطيف ، فقد كان الولد من أشقى الأشقياء الذين صادفتهم فى حياتى ، وكانت له قدرة غريبة على ابتكار أعمال الشقاوة والعفرتة . وقد تسبب لى فى علقتين متتاليتين فى رمضان واحد .

العلقة الأولى وهى أكبرهما وأكثرهما ضرباً ، حين اشتركت معه فى خدعة لئيمة من شقاوة العيال .. فقد كان الحر قائظاً فى ذلك اليوم من أيام رمضان .. واشتد العطش بالصائمين الذين فى مثل عمرنا .. وعندما اجتمعنا أمام جامع سيدى الركراكى فى الوقت المعتاد لانتظار أذان المغرب والانطلاق بالنشيد المعهود .. اقترح علينا « الواد هادى » ألا ننتظر المؤذن ولا الأذان .. وعلينا أن ننطلق بالنشيد فوراً لأننا عطشانون والناس كلها عطشانه مثلنا .

ولم ينتظر « الواد هادى » لسماع وجهات نظر بقية العيال فى هذا الإقتراح الغريب ، وانطلق على رأس الجماعة ، وكلنا ننشد وراءه .. يا صايم قوم افطر .. وشرب المقلب بعض الناس .. وعندما علم والدى باشتراكى فى تلك الخدعة السيئة ، أفطرنى على علقة ساخنة لم أضرب بمثلها فى علقة قبلها ولا بعدها !

أما العلقة الثانية ، فقد كانت بسبب اقتراح آخر من « الواد هادى » أفهمنا فيه أن فى استطاعتنا الحصول على بعض الملاليم لنشترى بها «لباً» وفولاً سودانياً .. وذلك بطريقة فى غاية البساطة .. فعلى كل واحد منا أن يحضر معه فانوسه الصفيح ، ويوقد شمعته الملونة ، ونردد وراءه نشيداً رمضانياً خالداً ، هو نشيد « وحوى يا وحوى » .. وندور على أصحاب الدكاكين وعلى الجالسين فى المقاهى لنحصل منهم على الملاليم المطلوبة .

وهكذا كنا نتجمع فى كل ليلة وندور فى أرجاء الحى ومعنا الفوانيس بشموعها المضاءة ، ونعمل « كورس » وراء قائدنا العبقرى نردد معه نشيداً تقول كلماته الخالدة :

« وحوى يا وحوى .. ايوحه .. وكمان وحوى .. ايوحه .. بنت السلطان .. ايوحه .. لابسه قفطان .. ايوحه .. بشراريبه .. ايوحه .. يالله نجيبه .. ايوحه .. لولا الحبايب لولا جينا .. يالله الغفار .. ولا تعبنا رجلينا .. يالله الغفار .. إدونا العادة .. الله يخليكم .. لبّة وزيادة ..

الله يخليكم .. الفانوس طأطأ .. الله يخليكم .. والشمعة خلصت .. الله يخليكم ! » .

وبعد أن نجمع الملاليم من أصحاب النصيب ، كنا نتوجه فوراً إلى «المقلة » لشراء قراطيس اللب والفول السودانى .. وكان « الواد هادى » يوزع علينا اللب لباية لباية والفول فولة فولة .

وفى إحدى الجولات مررنا على « قهوة السنكرى » حيث كان يجلس أبى ليدخن الشيشة .. وما أن شاهدنى وسط هؤلاء العيال الشحاتين ، حتى قام من كرسيه ، وأمسكنى من أذنى الاثنتين ، ورفعنى من على الأرض عدة مرات ، ثم أعطانى قلمين وهو يقول : انت حتتعلم الشحاتة من دلوقت ؟! .. وانتهت العلقة عند هذا الحد .

وكانت هذه آخر مرة اشترك فيها مع جماعة الأطفال فى الأناشيد الرمضانية .. واعتبرت نفسى أنى قد كبرت وأصبح من غير اللائق أن ألعب مع هؤلاء العيال .. !

سى باولو ..

يا أيها المثقفون .. يا أيها المتعلمون .. يا ساكنى مطروح وأهالى الإسكندرية ورشيد ، ودمياط وبورسعيد .. يا رواد ساحل العريش والقاطنين فيه .. وياكل الشعوب المطلة على سواحل البحر المتوسط فى الشام والمغرب وآسيا الصغرى وبلاد لا تركب الأفيال .

هل سمع أحدكم أثناء اليقظة أو حتى أثناء حلم فى منام ، عن جائزة سنية ، تسمى « جائزة البحر المتوسط الذهبية » ..

أقسم أن أحداً منكم لم يسمع باسم هذه الجائزة من قبل ، ربما بسبب الدوشة التى يسببها تلاطم أمواج البحر المتوسط بشطآن بلادكم الجميلة .. أما نحن أهالى القاهرة المحروسة التى تبعد عن البحر بأكثر من مائتى كيلو متر ، وبالرغم من وجود دوشة من نوع آخر ، فقد سمعنا ذات يوم أن هناك معهداً طليانياً يسمى « سترلينج أوربا » لصاحبه ومنشئه ومديره الدكتور « باولو » .. ولا يعرف أحد حتى الآن هو دكتور فى إيه .. أو حتى لماذا هو « باولو » هكذا .. !

وكتب لنا بعض النابهين من صحفيينا .. أن هذا المعهد يقع فى مدينة

« روما » .. وكتب صحفيون نابهون آخرون أنه يقع فى مدينة تسمى «بوللينزا» .. أى والله .. بل وقال بعضهم أنه « معهد » .. وقال آخرون أنه « هيئة » .. بينما أصر بعضهم على القول بأنه «مؤسسة» .. وهذا كله ثابت على صفحات جرائدنا ومجلاتنا المصرية التى ذكرت ما حدث ..

والذى حدث ببساطة أن الدكتور باولو صاحب هذا المعهد الهيئة المؤسسة وصل إلى مصر ومعه جائزتين متماثلتين متساويتين مصنوعتين من الفضة المطلية بالذهب كما قال .. وأعلن أنه سيعطى إحداهما لوزير الثقافة فاروق حسنى « لجهوده البارزة فى مجال انقاذ الآثار والحفاظ عليها » .. أى والله العظيم هذا ما ذكرته الصحف عن لسانه .. وسيعطى الجائزة الأخرى لنجيب محفوظ بسبب حصوله على جائزة نوبل ، وذلك من قبيل ذر الرماد فى العيون والعقول ..

ووقعت صحافتنا النابهة فى هذا المطب الذكى المدبر بإحكام الذى يضع فاروق حسنى ونجيب محفوظ كتفاً بكتف ورأساً برأس وعلى قدم المساواة فدُبجت المقالات ونشرت الصور والريبورتاجات التى تؤكد تلك الندّية والمساواة .

وإذا كان عمنا العملاق نجيب محفوظ قد حصل على جائزة نوبل فى الأدب فهذا أمر يعرفه العالم كله .. أما الغريب فى الأمر فهو الطريقة التى عرف بها الدكتور « باولو » جهود فاروق حسنى فى انقاذ الآثار والحفاظ عليها .. وأغلب الظن أنه استعمل فى ذلك منظاراً مقرباً كان ينظر به من

فوق سطح معهده فى روما أو فى بوللينزا ويوجهه باتقان نحو أرض الكنانة ، ليرى عن قرب ما ظنه جهوداً بارزة فى إنقاذ الآثار والحفاظ عليها..

يا سيدى الدكتور باولو .. لو كنت قد جئت لتثبت للمصريين أن الطلاينة لايفرقون بين فاروق حسنى ونجيب محفوظ ، فكم سرّنا معرفة رأى الطليان فى هذا الخصوص .. وتعجبنا له وكل واحد حر فيما يراه .. ولكننا نعتب عليك فى حكاية انقاذ الآثار والمحافظة عليها هذه .. ونعتقد انك تبالغ كثيراً وتريد أن تمزح معنا مزاحاً ثقيلاً .. وكان الأولى بك وبمعهدك أن تعلنا عن إعطاء جائزة لعمنا الأديب المصرى العالمى العملاق العظيم نجيب محفوظ بسبب حصوله على جائزة نوبل .. واعطاء جائزة مماثلة تماماً لفاروق حسنى بسبب عدم حصوله على جائزة نوبل..

عندئذ كان المثقفون المصريون سيصدقون قولك .. وسيحتفلون بك احتفالاً ثقافياً مبهراً يغنون لك فيه النشيد الوطنى المعروف : « مرحب سى باولو » .. !!

سينما الهلس .. جاتها نيله !

هل شاهدتم فيلماً افريقياً من قبل .. ؟

وهل يتصور أحد أن الدول الإفريقية الفقيرة حديثة العهد بالاستقلال من الممكن أن تنتج أفلاماً سينمائية .. ؟

دعونى أحكى لكم حكاية غريبة ذات أفلام عجيبة ..

أقيم فى القاهرة أسبوع للأفلام الإفريقية .. عرضت فيه أفلام من انتاج السنغال وساحل العاج وبوركينا فاسو والكاميرون وموريتانيا وغينيا بيساو .. ولشدة دهشتى واستغرابى ، حرصت على المواظبة فى الحضور حتى شاهدت جميع هذه الأفلام الافريقية التى عرضت خلال هذا الأسبوع .

فوجئت فى البداية بأن جميع هذه الأفلام [سواء أكانت أبيض وأسود أو بالألوان] قد حازت على « عدة » جوائز عالمية من عدد كبير من المهرجانات السينمائية التى تعقد فى مختلف أنحاء العالم .

وبطبيعة الحال فإن هذه المهرجانات العالمية ليست ممن « يغرفون » الجوائز ويمنحونها « بالزوفة » طبقاً لنظرية « جبر الخواطر » أو يوزعونها اعتباطاً إلى كل من هب ودب وهبت ودبت من الممثلين والممثلات .. الجوائز فى هذه المهرجانات تعطى تقديراً للفن ورسالة هذا الفن فى خدمة الحياة .

لقد حصلت هذه الأفلام الافريقية على جوائز عالمية بسبب ما تتضمنه من « فهم سينمائى » عميق لقضايا المجتمعات الافريقية ومشاكل الإنسان الإفريقى المعاصر ، وكذلك لتناول موضوعاتها قيماً حضارية وثقافية وانسانية ، من تمجيد للنضال الوطنى وكفاح الإفريقيين ضد الإستعمار المستغل البغيض وجنود الإحتلال الذين كانوا يرتعون فى البلاد ، إلى قصص الحب الشاعرى بين شباب الأجيال الحديثة المتطلع إلى حياة إنسانية أفضل ، واصطدام هؤلاء الشباب بحكايات الظلم الإجتماعى ونظام الطبقات الكريه السائد بين عدد كبير من القبائل والشعوب الإفريقية ، واصطدامهم أيضاً بالعادات والتقاليد البالية التى أصبحت لا تتناسب مع العصر الحديث .

وبالرغم من أن كل دولة من هذه الدول الإفريقية الفقيرة لا تنتج أكثر من فيلم واحد أو فيلمين فى كل عام ، إلا أن هذه الأفلام تتجاوز النجاحات المحلية وتقابل فى المهرجانات السينمائية الدولية بكل تقدير واحترام .. لأنها سينما جادة لا تعرف « الهلس » .. !

أقول هذا وقلبى يكاد ينفطر على فن السينما فى مصر التى كانت أول

دولة « افريقية » يدخلها هذا الفن ، والتى أنتجت الأفلام السينمائية قبل غيرها من الدول الإفريقية بأكثر من سبعين عاماً .

هل سمعنا يوماً أن فيلماً مصرياً واحداً حصل على جائزة ـ ولو زجاجة كازوزه ـ من أحد المهرجانات الدولية ؟ .. بالطبع لم نسمع عن ذلك أبداً.. واعتقد أننا لن نسمع عن ذلك خلال المائة سنة القادمة .. هل تعرفون لماذا .. ؟

لأن الغالبية العظمى من السينمائيين المصريين لا يمتون بصلة إلى مصر الحقيقية والمصريين الحقيقيين ، وزيفوا الحياة المصرية زيف البلهاء.. وأغرقونا وأغرقوا أنفسهم فى بحار سينما الهلس ، وأشبعونا بأفلام الإثارة والجنس وتكريس الانحطاط والإجرام .. وأفلام تدور موضوعاتها حول المساطيل والشمامين والرعاع وعصابات المهربين واللصوص وبيوت الدعارة والمنافسات الإجرامية بين الفتوات والبلطجية والسفاحين وقطاع الطرق والمغتصبين .

وحتى عندما اضطروا اضطراراً إلى ممارسة المتاجرة بلعبة انتاج الأفلام الوطنية التى تحكى قصص كفاح وبطولات الشعب المصرى ضد الاستعمار ، جعلوها تدور حول بطلات من العوالم والرقاصات والمومسات ، وكأن هاته النسوة الساقطات هن اللاتى كن يضعن الخطط ويقدن حركة النضال والكفاح الوطنى ضد الاستعمار وأذنابه ، وذلك أثناء ممارسة عملهن الرئيسى فى التجعير والتنعير وهز البطون والأرداف !

ومازالت بعض أفلام السينما المصرية تؤدى دورها البشع فى تخريب عقول الشباب ، وتدمير القيم والأخلاق ، وقتل وقت الناس فيما لايفيد . بالإضافة إلى دورها التقليدى فى الإساءة إلى مصر وتشويه سمعة المصريين .

وهذه الأفلام التافهة الهزيلة الرديئة لا تجسر على الإشتراك فى عروض المهرجانات السينمائية الدولية ، حتى لا تضرب هناك بالأحذية ، وحتى لا يوصم أصحابها والمشتركون فيها بأنهم عار على السينما والسينمائيين ، وحتى لا يقولون لهم بكل لغات الأرض : جتكم نيله !

أسعد الأوقات .. مع ممثلة إعلانات !

يبدو أنه صحفى مبتدىء ذلك الذى كتب هذا الحديث الذى عثرت على أوراقه بجوار مبنى أحد المراحيض العامة .. ولو كنت أعرف اسم هذا الصحفى أو اسم المجلة التى يعمل فيها لأرسلته إليه حتى يسهم بالتالى هو ومجلته فى نشر التفاهة والضحالة كعادة بعض المجلات الفنية فى هذه الأيام .

وبالرغم من شدة رزالة الأسئلة وسخافة الإجابات ، فقد لاحظت فى أسلوب الحديث نوعاً نادراً من الصدق فى التعبير .. فهو يدور بين الصحفى وممثلة اعلانات يبدو أنها مشهورة واسمها ديدى . كما يبدو أن الصحفى كان متحمساً لها ويريد بالتالى تلميعها باعتبارها نجمة تلهث وراءها الصحافة وتدور معها الأحاديث الصحفية ، فتستطيع بالتالى أن تطالب برفع قيمة تأجير مواهبها ، سواء بالنسبة للمعلنين أو بالنسبة لغيرهم من المستفيدين بهذه المواهب .

كتب الصحفى عنواناً للحديث هو : « أسعد الأوقات .. مع ممثلة اعلانات » .. وهأنذا أجازف بنشر هذا الحديث على مسئوليتى .. وهاكم نصه :

« فتحت لى باب شقتها المفروشة الفاخرة التى تستأجرها فى إحدى الڤيلات الهادئة بضاحية المعادى .. كانت ترتدى بنطلوناً محزقاً من الهيلانكا وبلوزة بلا أكمام ، وزينت وجهها الجميل بعشرين لوناً على الأقل من جميع الألوان الفاقعة المبهجة .

جلست بعد أن أجلستنى ، ووضعت ساقاً على ساق . وقلت لها فى البداية : أن مجلتنا تصدر باللغة العربية الفصحى .. فهل أنت على استعداد للإجابة على اسئلتى بصراحة وبالفصحى .. ؟

أجابت بلا تردد بعد أن انعوجت قليلاً : بالفوسحة بالفوسحة .. أنا أموت فى الفوسحة .

وبدأت الاسئلة .. وبدأت الاجابات بكل صدق وصراحة ..

س : ديدى هو اسم الشهرة .. فما هو اسمك الحقيقى ؟

جـ : اسمى الحقيقى « ديدى سونه حوحو » .. وبالفوسحة « داهية حسن أحمد » .

س : إذن باباك حسن هو سونه ، وجدك أحمد هو حوحو .. ولكن ألا ترين غرابة فى أن يكون اسمك « داهية » .. ؟

جـ : لقد سمونى داهية عشان أعيش لأن اخواتى كانوا بيموتوا [وهنا نبهتها إلى ضرورة التحدث بالفصحى] .

س : باعتبارك ممثلة اعلانات مصر الأولى .. وفاتنة الإعلانات

المصرية والشرقية .. هل ترين أن التمثيل فى هذه الإعلانات موهبة أم وراثة ؟

جـ : بالنسبة لى هو موهبة ودراسة معاً .. لقد ورثت هذا الفن العظيم عن آبائى واجدادى .. فأبى كان أشهر معلن عن « المزادات » فى مصر.. كان يلبس ملابس بهلوان ويدهن وجهه بمساحيق بيضاء وسوداء وحمراء.. ويمسك بيده اليمنى جرساً يدقه بايقاعات منغمة .. ويضع بيده اليسرى خلف أذنه ويصيح بأعلى صوته : « خش ع المزاد .. قبل ما يفوت الميعاد » .. وهو الذى اخترع الجملة الخالدة : « قرب شوف .. الفرجة بلاش » .

س : عظيم .. وماذا عن جدّك حوحو ؟

جـ : كان رحمه الله من أشهر المنادين على الأطفال التائهين .. وكانت حنجرته عبارة عن آلة بشرية لتكبير الصوت قبل أن يخترعوا الميكروفون.. وكان صوته يصل واضحاً إلى الطبقات العليا وهو ينادى باللحن الشهير: « عيل تايه يا ولاد الحلال » .

س : وهل أمك كانت أيضاً ممثلة إعلانات ؟

جـ : لا .. أمى كانت ومازالت مروجة للسلع والبضائع الخاصة بالجمعيات التعاونية والاستهلاكية .. فهى أشهر دلالة فى حى القلعة .. ولها علاقات طيبة أحياناً وغاضبة أحياناً أخرى مع شرطة التموين .

س : هذا عن الوراثة .. فماذا عن المواهب .. حدثينا عن مواهبك التى يعرفها الناس والتى لا يعرفها الناس ..

جـ : من الصعب أن أتحدث علناً عن مواهبى التى لا يعرفها الناس.. وأنى أترك ذلك للفراسة التى يتميز بها أغلب الناس وكلهم نظر.. أما مواهبى التى يعرفنى بها الناس فأنا « متحركة » .. بل متحركة جداً .. ويمكننى أن أتلوى وأتقصع بكل طرق الميوعة والخلاعة والمجون التى أجيدها جيداً .. وأنا متخصصة فى نطق ما يسمى رسالة أو موضوع الاعلان بكلمات وألفاظ ذات حروف موحية ، ظاهرها طبيعى معتاد ، وباطنها من «.اللى بالى بالك » [وهنا اضطررت لتنبيهها مرة أخرى إلى ضرورة التحدث بالفصحى] .

س : وبماذا تنصحين الفتيات الراغبات فى أن يصبحن ممثلات إعلانات ؟

حـ : الأمر بسيط .. يجب عليهن أولاً أن يأخذن كل حريتهن فى التعبير عن الميوعة بكل قدرة وتمكن .. ويجب عليهن أن يواظبن على عمل التمرينات الشاقة فى تلعيب الحاجبين والغمز بالعينين وضم أو مط الشفتين واخراج اللسان واستخدام اليدين والساقين والأصابع فى التعبير الاقتصادى العميق عن السلع المختلفة .. هذا بالإضافة إلى التمعن فى اعوجاج وميوعة نطق حروف الكلمات التى يتضمنها الإعلان..

وهنا سمعت دقاً عنيفاً على باب الشقة ، ودخلت على الفور مجموعة

من شرطة الآداب لابلاغها بتأييد الحكم بسجنها ثلاث سنوات .. وكان من الواضح أن بينها وبين شرطة الآداب بعض المتاعب القانونية والقضائية !

« طبق الأصل »

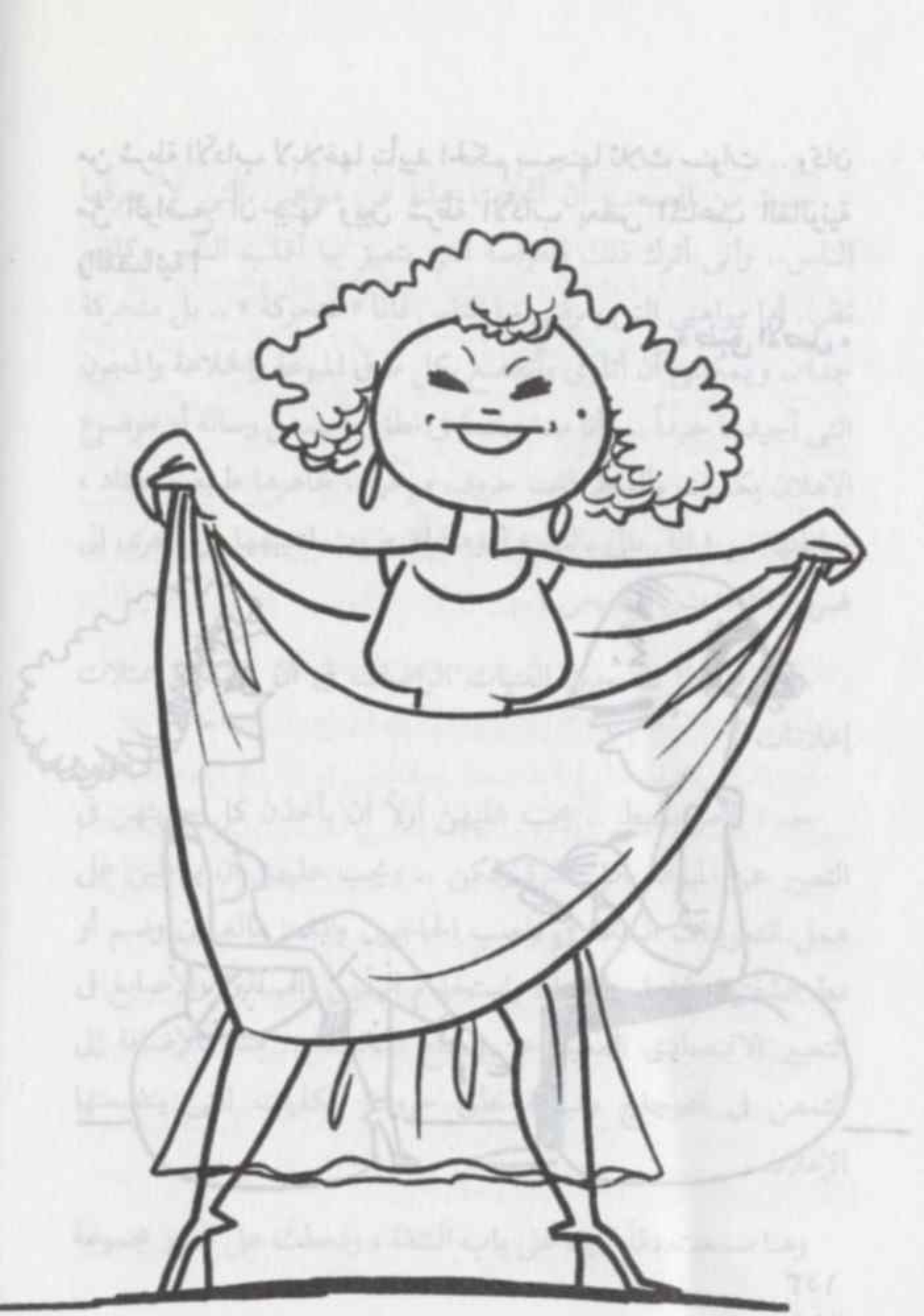

الرقّاصات الوطنيات .. !

لا أدرى أى صنف من العفاريت الزرق أو الحمر يركب رؤوس بعض النسوة المشتغلات بالرقص فى الكباريهات والتمثيل فى السينمات ، فيطلقن على أنفسهن أسماء وألقاباً وهمية كاذبة لزيادة شهرتهن لدى زبائنهن من رواد تلك المحلات ..

ولا أدرى بأى حق أن تزج بعض هاته النسوة باسم « مصر » فى عملية الدعاية والترويج لصورهن وهن مرتديات أقل ما يمكن من الثياب التى تستر القليل وتكشف الكثير من الصدور والسيقان والأفخاذ ..

هذه الرقاصة تسمى نفسها « راقصة مصر الأولى » .. تلك الممثلة التى دأبت على كشف جزء من صدرها فى جميع صور الإعلانات المنشورة عن كل أفلامها أطلقت على نفسها لقب « نجمة مصر الأولى».. فهل هذا كلام .. وهل يجوز أن « يتمرمط » اسم الوطن حسب رغبات وأهواء هؤلاء النسوان [ولاحظوا أنى لا استعمل كلمة النسوان تحقيراً لأقدارهن وإنما هى كلمة صحيحة وسليمة لغوياً] .

إن « مصر » ايتها الرقاصات والممثلات اسم كريم لوطن عظيم ..

بلد له فى التاريخ وصنع الحضارة شأن جليل يعرفه كل الناس .. وإذا كان تعداد المصريين قد بلغ فى هذه الأيام نحو ٥٨ مليوناً من البشر .. وإذا كان نصفهم على الأقل من الأناث فمعنى ذلك أن عدد الأناث يبلغ نحو ٢٩ مليوناً ..

هذه الملايين من النساء الشريفات يشاركن بجد واعتناء فى صنع الحياة على أرض هذه البلاد .. منهن الطبيبات والمهندسات والعالمات فى الطبيعة والكيمياء والأحياء .. وأساتذة فى الجامعات ومدرسات فى المدارس وممرضات فى المستشفيات وفلاحات يعملن فى الحقول وعاملات فى المصانع والشركات والبنوك ، وموظفات فى الحكومات والقطاعين العام والخاص .. ومنهن ربات البيوت والحرائر والطالبات والتلميذات وطفلات صغيرات مازلن يرضعن من صدور الأمهات .

ومع ذلك .. وبالرغم من كل هذا الكدح الجاد والجهد الجهيد الذى تبذله المرأة المصرية فى صنع الحياة ، لم نسمع عن أن واحدة من هؤلاء النساء الكادحات العظيمات قد أطلقت على نفسها دكتورة مصر الأولى أو مهندسة مصر الأولى أو عالمة أو عاملة أو فلاحة مصر الأولى ..

وجميع هؤلاء النساء الجليلات أولى بالانتماء إلى اسم مصر من الممثلات والراقصات ، مهما أجدن التمثيل بطريقة كشف الصدور ، وأجدن التقصع والتلوى وهز البطون والأرداف .. !

وهناك نوع آخر من العفاريت ركب أجساد راقصات شارع الهرم

وعلب الليل وفنادق النجوم الخمس .. فأخذن يطلقن على أنفسهن الأسماء والألقاب جزافا .. وبطريقة كلها غرور وعنطزة لا تنطلى إلا على زبائنهن من رواد تلك المحلات ..

وجميع هؤلاء الرقاصات يدعين انهن راقصات شرقيات وأن رقصهن يسمى الرقص الشرقى .. وهذا الإدعاء غير صحيح من الناحية العلمية.. فعلم الفولكلور مثلاً [وكذلك غيره من العلوم التى تدرس الإنسان ونشاطه الإجتماعى والثقافى] يؤكد أن لتعبير « الرقص الشرقى » مفهوماً جغرافياً تندرج فيه كل أنواع الرقص المعروفة فى بلاد الشرق الأقصى ذات الأصول الهندية والصينية واليابانية .

وجميع أنواع « الرقص الشرقى » هذه إما أن تكون دينية أو تعبيرية أو درامية ، وليست لها أية علاقة باثارة الغرائز ، بل تهتم أصلاً بالمتعة الروحية والذهنية والتسامى بمشاعر الناس وعواطفهم النبيلة ..

ورغبة فى تزييف هذه الحقائق العلمية عن « الرقص الشرقى » أطلقت إحدى الرقاصات على نفسها لقب أميرة الرقص الشرقى وتسمت رقاصة أخرى باسم نجمة الرقص الشرقى وثالثة باسم فاتنة الرقص الشرقى أو قمة الرقص الشرقى أو ساحرة الرقص الشرقى وغير ذلك من الألقاب الجوفاء التى أصبحت تستهوى حتى رقاصات الدرجة العاشرة اللاتى يحيين الأفراح فى الأزقة والحوارى ..

والآن أيها السادة ، لو كنتم مثلى ترون أن حرية الممثلات والرقاصات

فى اختيار الأسماء والألقاب قد أصبحت مصيبة كبرى .. فهل أدلّكم على مصيبة أكبر .. ؟

إذا وافقتم على ذلك فلتعلموا أن بعض الرقاصات يحصلن فى ليلة واحدة على مبلغ قد يتجاوز مرتب عشرين وزيراً ..

مع تحياتى وأطيب تمنياتى لنا جميعاً بالشفاء العاجل .. !

سيما أونطة .. هاتوا فلوسنا !!

خلال فترة الأربعينات كانت دور السينما فى القاهرة متندى من لا متندى له .. وكانت التذاكر رخيصة جداً .. فقد كان ثمن التذكرة بالدرجة الثالثة وهى الدرجة التى كان يفضلها الصبية الأشقياء لا يتجاوز (٩) مليمات .. وتذكرة الدرجة الثانية (١٤) مليماً وتذكرة الدرجة الأولى (١٩) مليماً ..

ولعلكم لاحظتم أن هذه الأثمان المحددة تنقص مليماً عن القرش والقرش والنصف والقرشين .. وكان عامل التذاكر يعطى « ملبسة » حمراء كانوا يسمونها « أرواحاً » بدلاً من هذا المليم حتى يستوفى الزبون حقه .. أما السر فى هذا المليم الناقص فيكمن فى أنه وسيلة للتهرب من تطبيق فئات الضرائب الباهظة «!» التى فرضت على تذاكر السينما بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية .

وبالرغم من رخص أثمان التذاكر فقد كانت الحفلة السينمائية تتضمن فيلمين على الأقل أحدهما عربى والآخر أفرنجى بالإضافة إلى «السلسلة » وهى حلقة قصيرة من فيلم مسلسل ذى أحداث مثيرة جداً عن « الرجل الحديدى » الذى تستخدمه إحدى العصابات فى مغامراتها،

أو عن « شازام » الذى كان يملك القدر على الطيران فى الهواء لينقذ أبطال المسلسل من مواقف حرجة وخطيرة يتعرضون لها .. أو عن مغامرات « زورو » الذى لا ينهزم أبداً مهما تكاثر عليه الأعداء ومهما كان عنف المعارك التى يخوضها .

وكانت هناك شروط متفق عليها لكى يحوز الفيلم اعجاب الجماهير.. فبالنسبة للفيلم الأفرنجى لابد أن يكون حافلاً بالمشاجرات الثنائية والخناقات الجماعية التى ينتصر فيها « الشجيع » ومن معه على الآخرين.. وأن يتم تبادل عنيف للضرب بالبونيات والضرب بالنار .. ولا بأس إذا كانت هناك حرب تستخدم فيها المدافع فى سبيل الحصول على الذهب .. ولابد أن تكون بطلة الفيلم وكانوا يسمونها « البِتْ » جميلة وتحب «الشجيع» بشدة ، وتظهر معه بين حين وآخر فى مواقف غرامية كانت تقابل بالزيطة والتصفيق والصفير .. ولا مانع إذا اشتركت معه فى المعارك بطريقتها الخاصة .

ولا بأس أيضاً لو كان الفيلم من الأفلام الكوميدية التى كانوا يسمونها الأفلام « المضحكة » والتى كان يقوم بتمثيلها أبطال الضحك القدامى مثل شارلى شابلن والتخين والرُفَيِّع [لوريل وهاردى] وبود أبوت ولوكستيللو وأخوان ماركس .

أما بالنسبة للفيلم العربى فمقومات قبوله لدى الجماهير تتمثل فى ضرورة احتوائه على نصف دستة أغانى على الأقل وعلى رقصة أو رقصتين أو أكثر لا مانع .. وأن يحتوى أيضاً على مواقف تثير الضحك

إلى جانب مواقف أخرى تدمع العيون .. ويا سلام لو كان يحتوى أيضاً على خناقة بالأيدى أو بالشوم أو بضرب الكراسى فى الكلوبات لتبويظ الفرح غير المرغوب فيه .

وكان لحضور الحفلات السينمائية طقوس جماعية وقواعد مرعية معروفة ومسلم بها لدى جماهير المشاهدين أياً كانت مستوياتهم .

وعلى سبيل المثال إذا كانت دار العرض تريد اختصار الفيلم توفيراً للكهرباء أو لضبط مواعيد الحفلات ، أو إذا كان عامل العرض حماراً غبياً فأغفل وضع العلبة أو « البوبينة » الصحيحة فى آله العرض ، عندئذ يختل سير الأحداث وتسلسلها ، وتبدو القصة غير منطقية .. وعلى الفور يضج الجمهور بالصياح والتصفير المرتفع ، ثم يبدأ تصفيق له إيقاع معين ويصرخ الجميع بصوت منغم : حرامى ! .. حرامى .. !!

أما إذا كان الفيلم سخيفاً أو خالياً من البونيات أو القبلات أو الضرب بالرصاص ، أو لم يتأثر به أحد من المشاهدين فلم يبتسم أو لم يقهقه أو لم تفر من عينه دمعة ، عندئذ ينشد الجميع أنشودة شهيرة ذات نغم معروف .. وعلى إيقاع من التصفيق والحان الصفير يقول الجميع : سيما أونطه .. هاتوا فلوسنا .. !

هذا هو السر فى الفارق الحقيقى بين جماهير الأمس وجماهير اليوم .. كانوا فيما مضى قادرين على الاحتجاج والاستهجان إذا شعروا بأية شبهة

فى « الأونطة » .. أما اليوم فقد تحولت السينما إلى أونطة خالصة ، ومع ذلك فجماهير اليوم مستكينة راضية لأنها أخرجت كلمة «الإحتجاج » من قاموس الحياة اليومية .

سينما الرفس .. والضرب بالبوكس !

من الواضح أن الأغلبية العظمى من صناع وتجار الأفلام المصرية يعيشون فى غيبوبة ، وأصبحوا يرون الأمور بطريقة منحرفة ومعووجة .. ومن المؤكد أن جميع الطرق التى يمشون فيها طرق منحدرة تهبط بهم إلى أسفل سافلين .

ولا يدرى أحد ماهو السر فى هذا الإصرار الغريب على الإنحدار والتزييف الذى يصل إلى حد الإجرام فى كثير من الأحيان .. كأن بينهم وبين مصر والمصريين « ثأر بايت » يدفعهم إلى الإنتقام الشرير من مصر وشعبها .

لقد أغرقونا [أغرقهم الله فى بحر من الطين والوحل] فى طوفان من الأفلام السفيهة التى تدمر معنويات الإنسان وتحط من قدره وذوقه وتهبط بمستوى أخلاقياته .

أنهم يتآمرون علينا بهذا العدد الهائل من الشرائط السينمائية القذرة التى تدور حول قصص عصابات اللصوص والمرتشين وقطاع الطرق والفتوات وعتاة المجرمين وتاريخ العاهرات وأشهر الرقاصات ..

وحكايات أخرى عن المغتصبين والمخطوفات والمساطيل والشمامين وتجار المخدرات .

ولأنهم لا يختشون ولا يعرفون العيب ، فهم ينشرون اعلاناتهم المبتذلة الضخمة فى جميع الشوارع والميادين .. هذا اعلان عن فيلم يحكى قصة حياة رقاصة لولبية ، تظهر فيه البطلة [وهم يسمونها عادة النجمة] فى وضع راقص يناسب حياة الرقاصة صاحبة القصة ، ويحاكى طريقتها الخاصة فى التحرر من الملابس فى سبيل الكشف عن المفاتن ..

وهذا إعلان آخر عن فيلم يتناول حياة صناع الكيف ومدمنى المخدرات ، تظهر فيه النجمة « المتختخة » وهى تشد الأنفاس من جوزة الحشيش ، وتنفث الدخان الأزرق من منخاريها وفمها فى وجه أحد زملاء الشلة ، أغلب الظن أنه القواد الذى يشرف على أعمالها ..

واعلان ثالث عن امرأة مستهترة تكشف عن ساقيها بطريقة داعرة ، وتمسك فى يدها مسدساً تصوبه نحو رجل أو امرأة من منافسيها فى الشغل .. وهلم جرا ..

وهم يسمون اعلاناتهم الشوارعية هذه باسم « أفيشات » [آل يعنى خواجات يعرفون اللغات الأجنبية] .. ويتنافسون فى جعل كل « أفيش » أكثر انحلالاً وابتذالاً من أفيشات الأفلام الأخرى التى تنافسهم فى هذا الإنحطاط .. وكأنهم فى مسابقة أولمبية لهدم الذوق العام وإفساد الناس !

والمصيبة الكبرى أن هذه الأفيشات والإعلانات الوقحة تتسلل إلينا

عبر صفحات الجرائد والمجلات ، فنية كانت أم غير فنية .. بل وتتسلل أيضاً لتدخل بيوتنا عبر شاشات التليڤزيون مع مقتطفات من أكثر المناظر إثارة وقلة أدب من هذه الأفلام ، وكأن أدمغة وعيون المشاهدين أصبحت أهدافاً يصوبون إليها أعمالهم التافهة باحكام يفوق الوصف .

وبالرغم من كل هذا البلاء العظيم ، فقد ظهرت فى الآونة الأخيرة أفلام مصرية هى فى حقيقة الأمر تقليد أعمى لأردأ الأفلام الهندية والآسيوية التى تدور حول فتوات من نوع خاص ، يقومون بمجموعة من الخناقات يستخدمون فيها الكاراتيه والتايكوندو والكونج فو .. وكافة وسائل الضرب بالبونيات وبراحة اليد والرفس بالأقدام على طريقة الحمير والبغال .

وفى مثل هذه الأفلام يقوم ببطولتها شاب أهوج عصبى المزاج ، «سبسب » شعره عند الكوافير ، ويظهر فى أغلب مشاهد الفيلم وهو عارى الصدر ، ويطلق صرخات عالية مخيفة مثل هوهوة الكلاب أو عواء الذئاب .. ويتنطط على الأرض ، ويقفز فوق أسطح العمارات .. ويخبط الجدران بقبضة يده فتنهار .. ويتصدى له رجل ما فيعطيه «بوكساً» يطيره فى غمضة عين .. ثم يتصدى له اثنان ثم ثلاثة فخمسة فعشرة رجال ، ولكنه يطيح فيهم جميعاً ذات اليمين وذات الشمال .. فيضرب هذا بكفه وذاك بكوعه .. ويرفس آخر بقدمه فى صدره أو فى وجهه وهكذا .. إلى أن يترنح الجميع ويسقطون على الأرض بلا حركة أو يلوذون بالفرار من هذا الوحش الجسور ..

وعندئذ يفرك البطل الشجيع يديه علامة على انتهاء أول خناقة ، واستعداداً لبداية خناقة جديدة مع خمسة عشر رجلاً آخرين ..

ولأن ظهور النساء فى مثل هذه الأفلام له ضرورة قصوى ، فلا بأس من أن يقيم هذا الشجيع علاقة مع ثلاث نساء على الأقل ، أفضلهن عنده بطلة الفيلم التى تموت أو يتزوجها فى نهاية الخناقة الأخيرة فى الفيلم.

وإذا كانت أجهزة الرقابة قد أصيبت هى الأخرى بغفلة أو غيبوبة ، أو وجدت عسلاً فنامت فيه .. فأين الرقابة الذاتية من ضمير الفنان..؟!

ولكن كلنا نعرف أن هذا الضمير إذا تلاشى أو غاب ، فلن يكون عند مثل هؤلاء الناس حياء .. وعندئذ يصنعون ما يشاءون !!

الهجص والتهليس ..
فى سينما الجواسيس !

ها قد انتهى مسلسل رأفت الهجان بعد أن شاهدنا كل اجزائه وحلقاته .. وعلمنا أن الجاسوسية مهنة لذيذة ومثيرة .. يدخن فيها الجاسوس السجائر طول الوقت .. وتتهافت عليه العشرات من جميلات النساء .. ويسافر كثيراً فى أرقى بلاد الله ليقابل خلق الله ..

وعلمنا أيضاً أن ضباط الجيش الإسرائيلى فى حاجة دائمة إلى النقود ، وأنهم على استعداد لإفشاء الأسرار العسكرية من أجل حفنة دولارات .. كما أن رجال الموساد الذين يعملون فى المخابرات الاسرائيلية هُبْلٌ ومَهَافِيف ويتكلمون بغباء وخنفان يثير الضحك ..

ولكن أخطر ما تعلمناه من هذا المسلسل أن السبب فى « وقعتنا السودة » المشهورة بنكسة ١٩٦٧ ، هو أننا لم نسمع كلام سى رأفت الذى أبلغنا بكل شىء .. ولكننا لم نهتم بكلامه ؛ فحدث ما حدث وجرى الذى جرى ..

وفوق ذلك كله علمنا أن بعض النساء الإسرائيليات خفيفات الدم ، خصوصاً عندما يقلن : « سلم لى ع الماما » .. !

وبعد أن انتهى المسلسل وحقق كل هذا النجاح ، نظر صناع وتجار

السينما المصرية إلى جهاز التليڤزيون بمجموعة من النظرات الواجفة الحاسدة ، وأخرجوا له ألسنتهم قائلين : واحنا كمان حنعمل أفلام للجواسيس .. هى معضلة يعنى .. ؟!

وفى أقصر وقت ممكن انهال علينا سيل منهمر من أفلام الجاسوسية والتجسس والجواسيس والجاسوسات ، الذين يعملون جميعاً ضد العدو الصهيونى لحساب العرب .. وكلها أفلام متشابهة ، لأن العناصر التى يتألف منها كل فيلم ، هى نفسها العناصر التى يتألف منها كل فيلم آخر .. وهى على وجه التحديد :

تدخين السجائر .. والعلاقات النسائية .. وتجول الأبطال فى بلاد أجنبية .. ودفع الرشاوى لضباط جيش العدو للحصول على المعلومات والأسرار .. أو الحصول على هذه الأسرار بسهولة بسبب غفلة الاسرائيليين وبلاهتهم أمام ذكاء مخابرات العرب .. وممكن تحصل بعض المواقف والمآزق التى قد يتعرض لها الجواسيس العرب للموت بعد الشك فيهم أو اكتشاف أمرهم .. ولكن لا داعى للخوف لأنهم ينجون جميعاً فى نهاية الأمر ويعودون إلى بلادهم ظافرين .. ولا بأس أيضاً أن يتضمن الفيلم بعض المغامرات المثيرة والمؤامرات المحبوكة التى تجعل من العدو أضحوكة !

وبمناسبة انتشار أفلام الجواسيس المبنية على الهجص والتهليس ، فإنى أريد أن أفشى لكم بعض أسرارى المنزلية التى تتعلق بابن بواب المنزل الذى نعيش فيه ..

ابن البواب هذا شاب فى العشرينات من عمره .. يعمل قهوجياً فى «غرزة» تقع عند بداية الطريق الزراعى بين القاهرة والاسكندرية .. وقد تعلم فن الهمبكة من سائقى اللوارى وسيارات الأجرة الذين يترددون عليه ..

ونظراً لأنه يستطيع أن يفك الخط بصعوبة ، فهو يكتب كلاماً يظن أنه بعضه أغانى شعبية ، وبعضه الآخر قصص تصلح للسينما والمسرح ومسلسلات التليڤزيون ..

وهو يدعى دائماً أن الجميع يسرقون أفكاره الفنية بمجرد أن «يبحبح» بها للآخرين وحتى قبل أن يكتبها على الورق .. وأن كثيراً من الأفلام التى شاهدناها ، أو الأغانى التى سمعناها ، أو المسلسلات التليڤزيونية التى رأيناها ، هى من تأليفه هو .. وانهم سرقوها منه لأنه مؤلف غير معروف وغلبان لا حول له ولا قوة .. وأنهم يدخلون عليها بعض التعديلات التى تروق لهم حتى يبعدوا عن أنفسهم شبهة سرقة أفكار الآخرين .

وفى الآونة الأخيرة ، ازداد نشاطه الفنى بدرجة ملحوظة ، فأخذ يمر على جميع الأشخاص المهمين من سكان عمارتنا وسكان العمارات المجاورة ، ويطلب منهم المشورة فى كيفية حماية حقوقه الفنية .. وتوسم فى شخصياً وعلى وجه الخصوص ، أنى قادر على حمايته واسداء النصيحة إليه .

وبالأمس جاءنى ومعه ورقة خبأها فى جرنال .. وقال لى هامساً أن

هذه الورقة تتضمن « دستة عناوين » تصلح كلها لسينما الجواسيس السائدة فى السوق هذه الأيام .. وأنه يود أن يقدمها عن طريقى إلى صناع أفلام الجواسيس وتجارها .

وبطبيعة الحال فقد اعتذرت عن القيام بتلك المهمة لأنى لا أعرف من هؤلاء الصناع أو التجار أحداً .. ونصحته لوجه الله أن يذهب إلى مكتب « الشهر العقارى » الذى يقع على ناصية الشارع ، ويقوم بتسجيل هذه الدستة من العناوين فى السجلات الرسمية .. وعندئذ يضمن جميع حقوقه إذا تجرأ أحد لصوص الأفكار السينمائية وسطا عليها .

ونظراً لتفاهة هذه العناوين وصلاحيتها فى الوقت نفسه لأفلام الجواسيس التى تقوم على الهجص والتهليس ، فإنى أنشرها على الملأ قبل أن يتجرأ لصوص عناوين الأفلام على سرقة بعضها أو سرقتها كلها .. وتتألف هذه العناوين من اثنى عشر عنواناً هى على وجه التحديد :

١ ـ الجاسوس والجاموس .

٢ ـ الجاسوس الذى يبوس .

٣ ـ جاسوس فى وكر التنين .

٤ ـ الجاسوسة الحافية .

٥ ـ فاتنة الجواسيس .

٦ ـ فى بيتنا جاسوس .

٧ ـ الجواسيس الأربعة .

٨ ـ الناس والجواسيس .

٩ ـ الراقصة والجاسوس .

١٠ ـ سامبو يتحدى الجواسيس .

١١ ـ الجاسوسة نوسة بتاعة البسبوسة .

١٢ ـ من فضلك اعطنى هذا الجاسوس .

وأنى انبه من الآن أن جميع هذه العناوين هى ملك لابن بواب عمارتنا .. وهى مسجلة فى السجلات الرسمية بمصلحة الشهر العقارى.. وأن أى صانع أو تاجر للأفلام السينمائية أو المسرحيات أو المسلسلات التليفزيونية يستولى على أى عنوان من هذه العناوين فسوف تكون « وقعته سودة » وسيرفع عليه ابن البواب قضية .. أغلب الظن أنى سأدفع أتعابها .. !

بطونكو للإلكترونيات

من قصص الجاسوسية

بهلون يغزو اسرائيل !

وهذه القصة أيضاً من تأليف القهوجى الذى حدثتكم عنه ، والذى ألف « دستة عناوين » لأفلام الجواسيس .. وكانت القصة فى الأصل تقع فى أربعمائة صفحة ، وقد اختصرتها حتى تصبح صالحة للنشر .. ولعلم الجميع وخصوصاً بالنسبة لمعتادى السطو على الأفكار السينمائية ، نخبركم بأن هذه القصة مسجلة بالسجلات الرسمية فى الشهر العقارى ولا يجوز سرقتها أو اقتباسها إلا بإذن سابق من مؤلفها القهوجى ..

وللعلم أيضاً فإن بطل القصة اسمه الحقيقى « بهلول » .

نشأ بهلول وترعرع فى مكان ما بالقطر المصرى [يمكن تحديده فيما بعد] .. وكان عبقرياً لا مثيل له فى العالم .. بدأ النضال منذ الصغر ، فاشتغل خادماً فى بيوت الأجانب .. لذلك فقد تعلم وأجاد عدداً من اللغات منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية واليونانية واليابانية .. ثم اشتغل مساعداً لتاجر يهودى علمه اللغة العبرية .

وفى أحد الأيام شاهد بهلول عاملاً يصلح التليفزيون بالشقة التى كان يخدم فيها .. وعلى الفور تفتقت عبقرية بهلول وتعلم هذه المهنة

المربحة ومارسها بنجاح حتى أصلح جميع التليفزيونات الخربانة بمدينة القاهرة .

ومن شدة عبقرية بهلول اخترع جهازاً الكترونياً صغيراً يستطيع حفر الأنفاق فى باطن الأرض .. وفكر بهلول فى كيفية الاستفادة من هذا الجهاز لخدمة الوطن [لأن بهلول وطنى جداً] .. فقرر بينه وبين نفسه أن يحفر نفقاً سرياً يصل به إلى داخل اسرائيل ، لينكّد على الاسرائيليين ويجعل حياتهم لا تطاق .

وهكذا بدأ بهلول فى حفر نفق يبدأ من حوش البيت الذى كان يعيش فيه بحى باب الشعرية بالقاهرة حتى يصل إلى قلب تل أبيب .

وبعد عدة أسابيع من العمل الشاق ، فتح بهلول فتحة علوية بالنفق وخرج منها ، فإذا به يجد نفسه فى مدينة استامبول بتركيا .. ولم يزعل بهلول من أجل ذلك ، بل اشترى كمية كبيرة من البقلاوة التى يجيد الاتراك صنعها ، ثم عاد إلى الحفر من جديد باتجاه الجنوب .

وكان الحفر صعباً فى منطقة سوريا ولبنان ، ولكنه وصل فى نهاية الأمر إلى منطقة بجوار مبنى الكنيست بتل أبيب .. وهكذا دخل بهلول إلى اسرائيل بدون باسبور .. !

وكان أول شىء عمله هناك هو أن غير اسمه إلى « بهلون » [على وزن شمعون] .. وادعى أنه يهودى متعصب أكثر من كل عتاة المتعصبين اليهود .

ثم فتح ورشة صغيرة لاصلاح التليڤزيونات أقبل عليها الاسرائيليون من أصحاب التليڤزيونات الخربانه من كل صوب ومن كل ناحية .. والغريب فى الأمر [لأن بهلول كان وسيماً] فقد وقعت فى دباديبه عشرة من النساء الاسرائيليات الجميلات .. ثم وقعت فى دباديبه بعد ذلك عشرون امرأة .. ثم ثلاثون .. وهكذا ..

وهنا تفتق ذهن بهلون عن فكرة عبقرية غير مسبوقة فى تاريخ العالم .. فقد افتتح مصنعاً لتعبئة دباديبه فى علب من الصفيح مماثلة لعلب المياه الغازية .. وسماها « دباديبو » .. وباع منها عشرات الآلاف فى السوق المحلية وفى عمليات التصدير إلى الخارج .

ومن الغريب أن جميع النساء الاسرائيليات اللاتى كن يشترين تلك العلب ، يعلمن تماماً أن العلب فارغة وليس فيها سوى الهواء .. ولكنهن يعرفن أن هذا الهواء مخلوط بدباديب بهلون التى يرغبن فى الوقوع فيها !

ومن الأرباح الباهظة التى جناها بهلون من مشروع « دباديبو » .. استطاع أن ينشىء شركة كبيرة لصناعة التليڤزيونات والراديوهات وأجهزة التسجيل سماها « بهلونكو للالكترونيات » .. وهكذا اشتهر بهلون فى طول البلاد وعرضها ، ووقع فى دباديبه أيضاً جميع رجال البنوك والاقتصاد فى اسرائيل .

ولأن بهلون كان وطنياً مخلصاً للعروبة كما ذكرنا من قبل .. ولأنه جاء إلى اسرائيل فى الأصل لكى يضع نفسه فى خدمه العرب والقضية .. فقد

اخترع لنفسه جهازاً الكترونياً صغيراً فى حجم علبة السجائر ويمكنه أن يضعه فى جيبه دون أن يراه أحد .. ويقوم هذا الجهاز العبقرى الصغير بتسجيل جميع الأفكار التى تدور فى رأس أى إنسان يريد بهلون أن يعرف ما يحتويه رأس هذا الإنسان من أسرار !

واستغل بهلون شهرته الواسعة فى المجتمع الإسرائيلى ، فأخذ يذهب إلى الإجتماعات والاحتفالات التى يحضرها الرجال المهمون فى إسرائيل ، ويسجل كل ما كان يدور فى رؤوس هؤلاء الرجال من أسرار ومعلومات.. وبهذه الطريقة حصل بهلون على كم هائل من المعلومات السرية والعلنية الخاصة بجميع الأنشطة الأساسية بدولة إسرائيل من مؤسسات عسكرية واقتصادية ، بالإضافة إلى جميع أسرار الحكومة والكنيست والهستدروت والأحزاب السياسية والدينية والمصانع الحربية والمدنية والمستوطنات والمزارع الجماعية .

وحتى يمكن الاستفادة بكل هذه الأسرار والمعلومات على نحو طيب ومفيد .. اخترع بهلون أيضاً جهاز إرسال أوصله بجميع أجهزة الاستقبال فى جميع أجهزة المخابرات فى جميع الدول والبلاد العربية ، وأخذ يزودهم بهذه الأسرار والمعلومات ، سواء أكانوا عايزين أو مش عايزين !

وقد اندهش جميع رجال المخابرات من هذا السيل المنهمر من المعلومات الهامة التى كانت تصلهم أولاً بأول دون أن يعرفوا مصدرها .. وقد ضحك هؤلاء الرجال كثيراً عندما وصلتهم فى احدى المرات معلومات أكيدة عن عدد معامل الطرشى فى اسرائيل !

وفى عصر أحد الأيام ، بينما كان بهلون جالساً فى شرفة بيته المطل على البحر ، استغرق فى فيض من ذكرياته التى قضاها فى مصر أم الدنيا .. ولسبب غير معروف ، تذكر « عم عوضين » بائع العرقسوس العجوز الذى كان يحمل قدرة العرقسوس فوق صدره ويدور بها فى شوارع باب الشعرية وهو يدق بصاجاته النحاسية الدقات الشهيرة المتعارف عليها بين باعة العرقسوس فى جميع أنحاء العالم .

ومثل البرق سطعت فى ذهن بهلون فكرة جهنمية تتعلق بنوعية الاشعاع الذرى لمادة العرقسوس الجافة قبل أن تنقع وتصبح شراباً .. فدخل فوراً إلى معمله السرى ، وأجرى أبحاثاً علمية لمدة خمس دقائق حصل فيها على نتيجة مذهلة ، وهى أن اشعاعات العرقسوس يمكن أن تفسد مفعول اشعاعات القنابل الذرية .. !

وبطبيعة الحال لم يكن من الصعب على بهلون أن يحصل على معلومات عن جميع الأماكن السرية التى تخفى فيها اسرائيل قنابلها الذرية .. فذهب إلى كل مخزن لهذه القنابل فى طول اسرائيل وعرضها .. ودفن بجواره الكمية المناسبة من العرقسوس المشع الذى يفسد [وأفسد بالفعل] مفعول كل القنابل الذرية التى تمتلكها اسرائيل !

كل هذا والاسرائيليون طبعاً لا يعلمون شيئاً عن النشاط السرى الذى يقوم به بهلون ضد الدولة اليهودية .. بل كانوا على العكس يحبونه حباً جماً بسبب أعماله الخيرية التى كان ينفق عليها أموالاً طائلة [يلاحظ أن بهلون بطبعه كان لايحب الفلوس الاسرائيلية ويعتبرها من المال الحرام] .

بل وتسابقت الأحزاب الاسرائيلية كلها على خطب وده .. وألحت عليه فى الانضمام إلى عضويتها .. ولكنه كان يعتذر عن ذلك برقة وأدب، ويقول أنه يفضل أن يخدم اسرائيل من موقع مستقل ..

ولأسباب سياسية غامضة ، أجمعت الاحزاب الاسرائيلية كلها على ترشيح بهلون لرئاسة الدولة .. وانتخبوه فعلاً لشغل هذا المنصب بالرغم من أنه تظاهر بأنه زاهد فى المناصب كلها .. ولكن « عشان خاطرهم » فانه يقبل أن يكون رئيساً لاسرائيل لفترة انتخابية واحدة !

وهكذا تحققت كل الخطط العبقرية الجهنمية التى وضعها بهلون منذ البداية .. ولكن فى يوم الاحتفال بأداء اليمين القانونية ، حدثت مفاجأة مذهلة بوظت كل شىء .. فقد تنبه أخيراً أحد اليهود من أعضاء الكنيست فهب واقفاً وصاح فى الجميع بصوت مرتفع : الراجل ده جاسوس يا جدعان !

عندئذ تسمرت العيون على بهلون ، وحدث ذهول من النوع الهائل الكبير ، وتقدم بعض الجنود الاسرائيليين المدججين بالسلاح للقبض عليه .. ولكنه بسرعة البرق مد يده فى جيب بنطلونه ، وضغط على زر خاص بالريموت كنترول الذى كان يحتفظ به دائماً ، فانفتحت على الفور طاقة فى أرض الكنيست ، دخل منها بهلون إلى ممره السرى ، وانغلقت فوراً بعد دخوله .

وبالرغم من الظلام الدامس داخل الممر .. فقد تحسس بهلون

طريقه.. وظل يجرى ويجرى حتى وصل إلى نهاية الممر عند حوش بيته فى باب الشعرية .

وهكذا وصل سالماً بعد أن أدى لوطنه كل هذه الخدمات .. وكانت أسعد لحظات حياته حين استعاد اسمه الحقيقى .. وعندما كان يرحب به الناس البسطاء من أولاد البلد ، قائلين له برقة: مرحب سى بهلول..!!

إن أنكر الأصوات ...

من الأحكام الموثوق بها والتى لا تقبل الجدل إطلاقاً أن أنكر الأصوات لصوت الحمير .. و«أنكر» هنا بمعنى أقبح .. وإذا أردت أن تتأكد من هذه الحقيقة الدامغة ، فليس عليك إلا أن تقترب من حمار على وشك النهيق ، وضع أذنك اليمنى أو اليسرى بجوار فم الحمار حين يفتحه ويشرع فى الزعيق .. وانظر ماذا ترى ..

فى البداية ستعرف على الفور وبطريقة عملية المعنى الحقيقى لكلمة «انزعاج » .. وبعد مرور فترة لا تزيد على ١٪ من الثانية .. يبدأ التركيب الكيميائى لدمك فى التغيير السريع ويركبك ما يسمى «العصبى » وهو احساس يجعلك تشعر بمرارة أن ملايين الأوتار فى جميع أعصاب جسمك تهتز بشدة وتتحطم .. ومع كل نهيقة وكل شهيقة تتبعثر أحاسيسك الإنسانية وتتلاشى رغبتك فى استمرار الحياة وتتمنى الموت بعيداً عن صوت الحمار ..

كل هذا والحمار نفسه لا يعرف هذه الحقيقة .. ولا يتصور أنه يزعج الآخرين أو يسبب لهم ألماً .. بل ربما كان الحال على العكس من ذلك تماماً ويظن الحمار أنه يطرب الناس بصوته ويشجيهم .. تماماً مثلما تفعل

الطيور والبلابل حين تغرد .. وتلك هى المصيبة الكبرى .. فلماذا إذن هى مصيبة .. وكبرى .. ؟!

السبب ببساطة هو أن هذا النهيق يتسلل إلى النفس البشرية خلال فتحتى الأذنين .. والأذن كما هو معروف هى الجهاز السمعى الذى وهبه الله لكثير من الحيوانات بما فيها الإنسان وذلك لكى يسمعوا ويعوا ويتمتعوا أو ليأخذوا حذرهم من الأخطار الداهمة .. ومن نعم الله على الإنسان أن أعطاه أذنين اثنتين وليس أذنا واحدة .. وذلك على أساس أنه إذا « باظت » واحدة فيمكن للإنسان عندئذ أن يعتمد على استخدام الأذن الأخرى عملاً بالحكمة القائلة «نص الطرش ولا الطرش كله » ..!

ومن الناحية الحضارية فإن كل إنسان ملزم بواجب الإهتمام بأذنيه وذلك باستخدام وسائل النظافة الصحية المعروفة ، وبابعاد طبلتى الأذنين عن التلوث أو الاهتزاز الشديد بسماع الأصوات المنكرة أو النكراء كلما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلاً ..

والمصيبة أن هذا الجهاز السمعى الحساس إذا أساء الإنسان استخدامه واستعمله فى سماع أصوات الحمير وغيرها من الأصوات النكراء « بمزاج » .. فإن ذلك يؤدى إلى تخريب نفسية الإنسان من الداخل والخارج كما يؤدى إلى تبويظ ذوقه الشخصى وذوقه العام والانحطاط به إلى الدرك الأسفل من الضحالة والبلاهة والتفاهة والتخلف ..

ولكن هل من المعقول أن يسىء الإنسان استخدام نعمة جهازه السمعى ويستمع إلى صوت الحمار وغيره من الأصوات النكراء «بمزاجه» وبكامل ارادته الحرة .. ؟

الجواب على ذلك بالايجاب .. وهناك أمم أكملها أصبحت تستمرىء الاستماع إلى أصوات مطربين كثيرين ممن يقلدون نهيق الحمير أو يقلدون صوت الجديان حين تكون مبسوطة أو صوت الماعز حين تغازل الذكور وتدعوهم إلى ممارسة الحب .. ولعل أكبر دليل لاثبات هذه الحقيقة الغريبة هو الاستماع إلى برامج « ما يطلبه المستمعون » فى جميع الاذاعات الناطقة بالضاد ، داخل وخارج الوطن العربى ..

ستستمع عندئذ إلى آلاف مؤلفة من أسماء هؤلاء الناس الذين يستمتعون بالاستماع إلى مطربين لا يتمتعون بأية ميزة أو موهبة إلا قدرتهم الفائقة على اتقان غناء بعض الكلمات بأصوات أقرب ما تكون إلى نهيق الحمير أو مـأمأة المـاعز والجديـان .. ويفعلون ذلك باتقان يفوق الوصف ..

وقد وفد إلى بلادنا منذ سنوات طويلة شخص إدعى أنه مطرب وكانت ميزته الوحيدة أنه يغنى بطريقة نهيق الحمار .. وكان بارعاً فى تطويع كلمات أغانيه لتتمشى مع السلم الموسيقى المتصاعد لنغمات النهيق فى كل من حالتى الشهيق والزفير مع مراعاة دقة واتقان تقليد تذبذب الأحبال الصوتية بحنجرة الحمار فى الحالتين ، وكيفية خروج

الصوت الزاعق من فم الحمار ومنخاره .. بل وتجرأ كثيراً وأخذ ينهق فى بعض أغانيه نهيقاً صريحاً مكشوفاً لا حياء فيه ..

ومع ذلك فقد قوبل هذا الشخص بترحيب شعبى كبير واعتمدوه مطرباً فى الإذاعة والتليڤزيون وأتاحوا له فرصة الظهور المتكرر اللحوح والتمتع بحق الأداء أو النهيق العلنى وذلك لأنه ضيف وفد إلينا من بر الشام الحبيب سوريا الحبيبة .. مع أنه لو تجرأ وغنى فى بلاده بهذه الطريقة لحاكموه هناك بتهمة إزعاج الحمير وتهييجها .. ولكن الدنيا عندنا أمزجة وأرزاق ..

وفى السنوات الأخيرة هب علينا من « الغرب » بعض اشخاص يتنططون مثل القرود ويقلدون جميع حركاتها ، ويغنون بأصوات تماثل تماماً أصوات فرحة القرود حين تأكل الفول السودانى وتحلى بأصابع الموز ..

ومن الشرق وفد إلينا أيضاً أشخاص آخرون نشروا صورهم فى كل الصحف وهم يبتسمون أو وهم يفشخون أفواههم على آخرها كتعبير عن الغناء بشدة وإخلاص .. وأدعى هؤلاء القوم جميعاً أنهم مطربون .. ولجأوا إلى الملاهى الليلية بالفنادق الفخمة ذات النجوم الخمس .. حيث وجدوا آلافاً لا حصر لها من المعجبين بقدرات هؤلاء المطربين على تقليد صوت مأمأة الماعز والجديان .. بل وأصبح من المعروف أن شهرة المطرب منهم تقاس بمدى قدرته على التجويد فى المأمأة بطريقة إنسانية أقرب ما تكون إلى طريقة الحيوان .

وقد أتاحت لى بعض الظروف السيئة أن اضطر إلى الاستماع إلى واحد من هؤلاء المطربين .. وما أن ظهر هذا الشخص على المسرح ، حتى قوبل بعاصفة مدوية من التصفيق والصفير والصراخ بكلمات اعجاب غير مفهومة .. حتى كدت أظن أن هذا الشخص قد نجح فى حل أزمة الخليج وجاء يغنى لنا بهذا النبأ السعيد .

وبعد أن خفت صوت الافتتاحية الموسيقية للأغنية بدأ هذا الشخص يماماً فعلاً وبطريقة متقنة للغاية .. فى البداية كانت المأمأة رقيقة جداً وناعمة .. ثم بدأت النعومة تخشن بالتدريج وتتحول إلى مأمأة زاعقة وقوية .. وفى النهاية اختفت نبرات الصوت الإنسانى فى المأمأة وأصبحت مأمأة حيوانية خالصة ، حتى ظننت أن الرجل قد جن فعلاً لاصراره الغريب هذا على الانحطاط بالصوت الإنسانى إلى هذا المستوى الحيوانى الصريح .. وأخيراً انتهى الكوبليه الذى يغنيه بكلمة « ماء » التى أخذ يرددها ويطيل فى ترديدها بأكثر من عشرين نغمة .. والتهبت أكف المصفقين فرحاً بالاستمتاع بقدرة الإنسان ، على تقليد صوت الماعز والجديان .. ! فهل هذا يجوز يا جدعان ؟!

صناع الدوشة فى الأفراح

منذ سنوات طويلة ، يتحفنا الفنان مصطفى حسين بكاريكاتير يومى عن « مطرب الأخبار » .

ومن الواضح أن مصطفى حسين قد نجح تماماً فى تصوير المعالم الشكلية والأبعاد النفسية لهذا النموذج من أدعياء الفن الذين يسمون أنفسهم «مطربى الأفراح » فرسمه بفكين عريضين مستطيلين كفكى الحمار ، يتيحان له إذا فتحهما أن يخرج أصواتاً نكراء كنهيق الحمير أو نعيق البوم .. وبجبهة ضيقة ترمز إلى البلاهة وشدة البلادة والغباء وانعدام الإحساس بأية مشاعر انسانية رقيقة أو لطيفة ، وبشعر مجعد مصفف بالطريقة التقليدية المنتشرة بين كل أدعياء الفنون .. وتحت هذا الشعر من خلف الرقبة قفا عريض وارم يستحق الصفع فى كل دقيقة أو كل دقيقتين على أكثر تقدير .

ومن هذا النموذج المتمثل فى مطرب الأخبار هناك مئات بل آلاف من هؤلاء المطربين الذين يعيثون القرف الزاعق فى كل أفراح القاهرة وسائر المدن والديار المصرية .. وكلهم يجيدون التجعير بصفاقة وجرأة لم يشهدها من قبل تاريخ فن الغناء فى أى مكان أو فى أى زمان .

غير أن لى رؤية نقدية لمطرب الأخبار الذى يرسمه الفنان مصطفى حسين صباح كل يوم أرجو أن يتسع لها صدره فيقبلها ويعمل بموجبها.. فهو يرسمه كضحية مستديمة لعدوان المعازيم فى الأفراح الذين ينهالون عليه دائماً بالصفع على القفا والأصداغ وبالضرب بالبونيات والشلاليت وأنواع الضرب والإيذاء الأخرى التى تؤدى فى الغالب إلى تكسير عظام الأطراف وما يصاحبها من الإغماء والنقل بسيارات الإسعاف إلى مختلف المستشفيات .

فهل هذا صحيح .. ؟!

إن العكس هو الصحيح .. فبالرغم من كل مآسى التلوث السمعى الذى يسببه مطربو الأفراح للمعازيم ، فإن هؤلاء المعازيم بكل أسف يستقبلون مطربى الأفراح بالتصفيق والصياح والتصفير ، ويشيعونهم بمثل ما استقبلوا به من مراسم الحفاوة والتكريم .

وهناك عدة أسباب تؤدى إلى اتخاذ هذا الموقف الغريب من جانب معازيم الأفراح .. منها أن هناك ظناً شائعاً بأن حفلات الأفراح « هى كده ! » .. عبارة عن زعيق فى الميكروفونات ومكبرات الصوت ، وصراخ منغم على شكل غناء وجعير .. وموسيقى زاعقة صارخة متنافرة النغمات، تخرج هادرة من الآلات الموسيقية ذات الأصوات العالية ، يشترك فيها الأورج والأكورديون مع آلات النفخ النحاسية التى تخرق طبلات الآذان ، بالإضافة إلى أنواع الطبول التى تسبب الصمم ، والرق والصاجات والشخاليل لزوم الرقاصات .

ومن هذه الأسباب أيضاً أن معازيم الأفراح فى مصر قد اعتادوا على سماع تلك الفئات المزعجة الضالة من المطربين والفرق الموسيقية التى تصاحبهم ، وأصبحوا لا يتصورون فرحاً يقام دون أن يتضمن كل هذا الزعيق والضجيج والإزعاج .

وأنا على يقين من أن مصطفى حسين يعرف تماماً كل هذه الأسباب ، ويدرك أيضاً أن مثل هذه الفئات من معازيم الأفراح تستحق الضرب والتهذيب والإصلاح ، وذلك أثناء ضرب المطربين أو المطربات وأعضاء الفرق الموسيقية اللعينة التى تصاحب هؤلاء المزعجين والمزعجات .

ومع ذلك فأغلب الظن أن حرص مصطفى حسين على تصوير المطرب « مضروباً » علقة ساخنة من المعازيم هو « أمل » يتعشم فيه أو «أمنية » يتمناها .. أو هو تحريض غير مباشر للمعازيم لكى يؤدوا واجبهم المنتظر فى ضرب هؤلاء المزعجين صناع الدوشة من مطربى ومطربات الأفراح .

وعلى هذا إذ نظرنا إلى الموضوع من هذه الزاوية النقدية التحليلية فأنا مع مصطفى حسين على طول الخط ، وأشاركه فى تمنى هذه الأمنية فى ضرب هؤلاء المطربين وتهذيبهم وإصلاحهم وإيقافهم عند الحدود المعقولة .. كما أؤيده بشدة فى تحريض المعازيم على ضرب المطربين ، ولكن بشرط ألا يفضى ضربهم إلى الموت .. يكفى الصفع على القفا وتلطيش الأصداغ ، وبوكس أو بوكسين فى البطن تحت الحزام ، وشلوت

أو شلوتين فى المنطقة المناسبة من ظهر المطرب مع تحاشى كسر عموده الفقرى .. ومن الممكن أيضاً فى بعض الأحوال الخاصة ضرب المطرب بالروسية إذا كان من بين المعازيم من يجيد الضرب بالروسيات .

ومن المؤكد أن النجاح فى تطبيق هذه النظرية بحسم وبطريقة عملية علنية وواضحة ، سيؤدى حتماً إلى التخلص من صناع الدوشة والإزعاج العام ، وإلى عودة السكينة والهدوء النسبى فى سائر المدن والديار المصرية .. كما سيؤدى أيضاً إلى نتائج عالمية مبهرة لعل أهمها اختفاء أحد العوامل الرئيسية التى أدت إلى ثقب طبقة الأوزون .

وحتى يصبح كلامنا عملاً وأمراً واقعاً ، فلابد من التجربة بطريقة عملية .. فهيّا ..!

النصائح الذهبية ..

لروّاد الأغنية الشبابية !

إذا كنت « صايعاً » من الصياع المرموقين .. ومازلت تحصل على مصروفك من بابى أو من مامى .. وإذا كنت تحس بنوع من الطموح الفنى وعشق الشهرة ، فاحرص على اتباع هذه النصائح الذهبية لتصبح من رواد الأغنية الشبابية .

● اجعل شعر رأسك طويلاً ، وصففه بتسريحة تلفت إليك النظر ، كأن تجعله مثل شعر الكلاب « الكانيش » المجعد أو الملتوى ، أو تجعله على شكل التسريحة الجديدة المسماة « كابوريا » وهى تسريحة تثير الاشمئزاز والقرف وتحوز اعجاب الكثيرين من التافهين والكثيرات من التافهات ، ولكنها تضفى عليك فى النهاية شكل بلطجية العصر الحديث .

● لا يهم أن يكون صوتك عذباً أو جميلاً أو حتى مقبولاً لدى السامعين ، فقد انتهت الآن موضة المطربين أو المطربات من ذوى الأصوات الجميلة المقبولة ، وتزخر ساحة الأغنية الشبابية الآن بأصوات تشبه نهيق الحمير ومأمأة المعيز ونباح الكلاب وصليل الحيات من ذوات الأجراس . ومع ذلك فهم لا يختشون ولا يشعرون بأى حرج أو عار ،

ويزعقون فى الميكرفونات وأجهزة تكبير وتضخيم الصوت ذات الصدى المسمى « إيكو » .. وهى أجهزة كفيلة بتحقيق الغرض النهائى من الأغنية الشبابية فى ازعاج الناس والحصول على اعجابهم المتمثل فى التصفيق والتصفير .

● تعامل مع المؤلفين المعروفين بقدرتهم الفائقة على البجاحة فى التأليف واستخدام الكلمات والجمل والألفاظ الغريبة والوقحة التى ترضى أسماع التافهين من عشاق الوقاحة وقلة الذوق والأدب . ولا تتعامل مع الشعراء الجادين اطلاقاً ، ولا مع مؤلفى الأغانى التافهة الذين انكشفوا وبانت سوءاتهم للناس حين تقيأوا نتناً وتحدثوا عن كوز المحبة الذى انخرم أو عن الحب وارتباطه بالفول أبو زيت حار ، أو الذين ادعوا بأن السح الدح امبو هو قمة الحب ومشاعر العشق الحديثة.

● ويمكنك أن تبتكر موضوعات جديدة لأغانيك لم يسبقك إليها أحد ، مثل القول بأن « طاجن الحب انحرق فى فرن الشوق » أو « بابور المحبة عايز نفس » أو « جزمة الحب واسعة وعايزة وش ورنيش » . وهناك موضوعات كثيرة أخرى تجتذب أسماع المستمعين الجدد مثل موضوع « البيلى بيلى باه » ..

[ملحوظة : على كل من سوف يستخدم فكرة « البيلى بيلى باه » فى أية أغنية شبابية ستظهر مستقبلاً أن يعطينى حقى القانونى فى هذا الابتكار باعتبارى من أهل الرأى والمشورة] .

● اتصل بأى واحد عنده « أورج » ومجموعة من الإيقاعات الجاهزة المبرمجة على واحدة ونص . فمثل هذا الشخص يظن نفسه أنه ملحن عظيم ولكنه مازال مغموراً يبحث عن فرصة للظهور . وقد ثبت علمياً أن هؤلاء المغمورين هم وحدهم القادرون على تقديم ألحان « تفرقع » . وغالباً ما تتسبب هذه الفرقعة فى تدمير حاسة السمع لدى السامعين المعاصرين بالإضافة إلى تدمير ذوقهم الفنى والإنحطاط به إلى الدرك الأسفل من الفن .. وهذه النتائج هى التى تسعى إلى تحقيقها تلك الأغانى الشبابية ذات النجاح الساحق الماحق .

● وإذا استدعى اللحن اشتراك كورس نسائى ليصاحبك فى ترديد المقاطع البايخة من الأغنية فاطمئن ولا تخف ، لأن الملحن المغمور سيدبر لك مجموعة من الأصوات النسائية المائعة التى تجيد الخلاعة فى نطق الكلمات ، وسوف يكون لها أكبر الأثر فى جذب أسماع المستمعين إلى أسفل سافلين .

● عليك باللجوء إلى « المعبئين » الذين يعبئون الأشرطة الكاسيتاتية للمجهولين فيشتهرون .. وهؤلاء المعبئون عبارة عن شركات تتخفى وراء اسم « فون » . وعلى سبيل المثال هناك شركات « شطة فون » و« كزبره فون» و« شلاطه فون » و « بعجرفون » وهى أكبر هذه الشركات وأشهرها.. ولا تجادلهم كثيراً فى موضوع الفلوس ، فسوف يعطونك عشرات الآلاف لأنهم سيكسبون من ورائك الملايين ، خصوصاً إذا

كنت تافهاً جداً ، وتغنى أغانى تافهة جداً تجذب الملايين من التافهين الذين سيقبلون على شراء الشريط لشدة ما فيه من التفاهة .

● لا تواجه الجمهور إلا بعد أن تتأكد تماماً من قدرتك على عمل حركات وشغل القرود بطريقة تتفوق فيها على القرود نفسها . ويمكنك أن تتعلم هذه الحركات وتجيدها إذا ذهبت مرة أو مرتين إلى جبلاية القرود بحديقة الحيوانات وقلدت ما تفعله القرود هناك من شقلبات وتنطيط .

● إذا كنت آنسة أوسيدة وترغبين فى الاشتراك فى مهزلة الأغنية الشبابية ، فمن المستحسن أن يكون لك « ضب » أو أسنان مقززة تظهريها بوضوح أثناء التجعير أو التنعير .. ولا مانع أن يكون لك فك عريض مثل الفك المفترس .. المهم أن تظهرى هذا كله أثناء الغناء حتى يكون لك طابع مميز .. وعليك أيضاً أن تجيدى الرقص أو هز الأكتاف والذراعين واليدين وتقصيع الجسم إلى الأمام والخلف وإلى اليمين واليسار .. وحاولى الادعاء دائماً بأنك تعبرين بدقة وحرارة مفتعلة عن معانى الكلمات والألفاظ التى تتضمنها الأغنية .. ولا مانع من ارتداء الطرحة أو الحجاب إذا تضمنت أغنيتك كلمات جادة أو شبه رسمية .

● وأخيراً .. قبل أن تبدأ فى استثمار أرباحك وأموالك فى بناء عمارة ، فاحرص على شراء المرسيدس الزلكة .. فهذه الزلكة أصبحت الطابع المميز لكل من اتبع هذه النصائح الذهبية من رواد الأغنية الشبابية!

خطاب عتاب ..
من مطرب شاب .

وصلنى خطاب عتاب من أحد مطربى الشباب .. وللأسف فقد أغفل ذكر اسمه فلم أعرف من هو .. ويلومنى هذا المطرب لوماً عميقاً على مقالى السابق « نصائح ذهبية لرواد الأغنية الشبابية » .

ويقول هذا المطرب الشاب المجهول أن جميع هذه النصائح التى ذكرتها فى مقالى نصائح قديمة ومعروفة وأخذ بها مطربو الأغانى الشبابية منذ سنوات طويلة ، خصوصاً النصائح الخاصة بتسريح الشعر كابوريا أو مثل الكلاب الكانيش . وكذا النصائح الخاصة بضرورة الالتزام بأصول « التفاهة » واختيار الكلمات الجريئة الوقحة واستخدام التشبيهات قليلة الذوق والأدب . وجميع هذه النصائح وأمثالها اتبعها كل رواد الأغنية الشبابية باعتبارها من ضروريات المهنة .

وبذلك فلا يمكننى الإدعاء بأن هذه النصائح من تأليفى ، ولا فضل لى فى مقالى المشار إليه سوى أنى كشفت عنها النقاب ، وأذعتها علناً لكى يعمل بها كل « الصياع » الجدد الذين ينوون الدخول إلى حقل الأغنية الشبابية .

ويقول المطرب الشبابى المجهول فى خطابه أيضاً أنى فشلت فى توجيه النصيحة الأخيرة الخاصة بضرورة شراء المرسيدس الزلكة قبل أن يقدم المطرب الشبابى على بناء عمارة . وذلك على أساس أن هذه الزلكة أصبحت الطابع المميز لكل من اتبع النصائح الذهبية من رواد الأغنية الشبابية . ويقول أنه فشل فى شراء الزلكة حتى الآن بالرغم من دخوله إلى حقل الأغنية الشبابية منذ عام كامل ! ..

واسمحوا لى أن أنقل هنا نص الفقرة الخاصة بهذا الموضوع من خطابه، فهو يقول :

« بالرغم من اتباعى كل النصائح الذهبية وكذا النصائح الفضية ، إلا انى « كافحت » فى حقل الأغنية الشبابية لمدة عام كامل ، ومع ذلك فلم استطع شراء الزلكة .. وكل ما استطعت الحصول عليه هو سيارة مرسيدس ٢٠٠ بيضاء موديل ٨٣ وتعتبر « عجرانه » إذا قورنت بالزلكة.. بالإضافة إلى رصيد فى البنك لا يزيد على مائة ألف جنيه فقط، واعترف هنا أنى انفقت مثل هذا المبلغ على الشم ولزوميات تعديل المزاج .. فقل لى بالله عليك متى سأحصل على الزلكة ومتى سأبنى عمارة ؟ » .

واسمحوا لى أيضاً أن أنقل لكم فقرة أخرى من خطاب المطرب الشبابى المجهول يقول فيها :

« ويكمن سر نجاحى فى التزامى الصارم بتقليد حركات القرود أثناء توجيه غنائى نحو المستمعين ، وأصبحت مشهوراً بدقتى المتناهية فى أداء شغل القرود ، واجادتى التامة فى تقليد نهيق الحمير بطريقة فنية مقبولة ، وتفوقى الفائق فى التجعير بصوت لم يجعر بمثله أحد من قبل .. هذا بالإضافة إلى موهبة التفاهة التى أتميز بها عن غيرى من المطربين التافهين الآخرين .. ومع ذلك يا سيدى لم « يعتمدنى » حتى الآن جهاز الإذاعة ولا جهاز التليڤزيون وتجاهلونى تماماً .. وانت تعرف « الكوسة » المنتشرة فى هذين الجهازين ».

وأقول لهذا المطرب الشبابى أرجوك لا تحشرنى فى هذا الموضوع ، ولاتظلم الكوسة أيضاً بحشرها فى هذا الموقف .. فالكوسة فى رأيى تعتبر من الخضراوات الطيبة ، وهى جميلة الشكل إذا ظلت محتفظة بزهرتها الصفراء ، وهى كطعام تعتبر مفيدة ومغذية ، وتؤكل مسلوقة أو مطبوخة مع اللحم والطماطم ، أو تحشى بالأرز المحوّج أو اللحم المفروم ، كما تصنع منها صينية بالبشاميل تعتبر فتنة للناظرين والآكلين .. فما دخلها فى جهازى الإذاعة والتليڤزيون ؟ .. لا داعى لمثل هذا التفكير الشبابى الطائش ! .. وعلى أية حال فلا تحزن لموقف التجاهل الذى اتخذه الجهازان ضدك .. فقد أخذا نفس الموقف أيضاً بالنسبة لأعمال طه حسين والعقاد والمازنى وغيرهم من رواد التنوير فى مصر فى العصر الحديث .

أما أكثر ما أغاظنى فى هذا الخطاب فهو الجرأة والبجاحة اللتين صيغت بهما الفقرة التالية :

« أما فكرة [البيلى بيلى باه] التى اقترحتها فى نصائحك كموضوع لإحدى الأغانى الشبابية فهى فكرة جيدة ، وقد اقتنعت بها ، وكلفت أحد مؤلفى الأغانى من الصياع المرموقين بتأليف أغنية على وزنها ، وسوف أضرب بها كل المطربين والمطربات الذين يملأون الآن ساحة الأغنية الشبابية . وقد اتفقت أيضاً مع إحدى شركات تعبئة الشرائط الكاسيتاتية ليعبئوا لى شريطاً بهذه الأغنية سوف يكون قنبلة الموسم .. وأملى كبير فى التمكن عندئذ من شراء الزلكة والحصول على بعض تكاليف العمارة .. ولكن يؤسفنى أن أبلغك بأن فكرة [البيلى بيلى باه] فكرة شعبية شائعة وليس لك أى حق فى الادعاء بملكيتها .. وبناء عليه فليس لك أى حق قانونى ، ولن أعطيك من أرباحى مليماً واحداً » .

ولا يسعنى أمام كل هذا القدر من البجاحة ونكران الجميل ، إلا أن أقول لهذا المطرب الشبابى ولكافة المطربين والمطربات الشبابيين الآخرين ، أن اقتراحى باستخدام فكرة [البيلى بيلى باه] فى الأغنية الشبابية الحديثة يعتبر من الناحية القانونية اقتراحاً ثابت التاريخ ، وهو تاريخ صدور العدد ٣٣ من جريدة كاريكاتير فى ٢٤/ ٧/ ١٩٩١ .

وبناء على ذلك فإن أى واحد منهم سيستخدم هذه الفكرة فى أية أغنية شبابية دون إذن أو ترخيص منى ، فسوف أرفع ضده ثلاث قضايا :

الأولى جنائية باتهامه بالسطو واللصوصية .. والثانية مدنية للمطالبة بحقى القانونى فى الأرباح .. والثالثة سأرفعها أمام محكمة « القيم » باعتبار أن فى هذه الأغانى التافهة إهداراً للقيم الأدبية والقيم الفنية من هذه الجماعات الشبابية التى لا تحترم الأدب ولا تحترم الفن !

إلى عشاق السّف والإسفاف والمسفّين :

للإسفاف خمس فوائد !

السف فى معاجم وقواميس اللغة العربية يقصد به « تناول الدواء أو الطعام يابساً غير معجون » .. كما يقصد به أيضاً « طلب الدنىء من الأمور » .. وهو بهذا المعنى الأخير يعتبر « سفّاً » أو « إسفافاً » وله علاقة وطيدة بسوء السلوك .

ويقول الناس المؤدبون الطيبون : أن الإسفاف نوع من قلة الأدب وقلة التربية يتميز به المسفّون من أصحاب العاهات الأخلاقية .. ولهذا السبب فهم يفرون من الإسفاف والمسفين كفرارهم من النار ومرضى الجرب .

ومع ذلك فقد ظهرت فئات عديدة من الناس البسطاء ، أصبحت تحب الإسفاف وتعشق المسفين ، بل وتمنحهم مزيداً من الشهرة والمال لتشجيعهم على المزيد من الدناءة والبذاءة والإسفاف .

وهكذا أصبح الإسفاف من أقصر الطرق إلى الثراء والشهرة العريضة.. وأصبح المسفون أصحاب جاه وصيت . وظهرت للإسفاف

خمس فوائد هى ملء الأسماع والأبصار ، ومع ذلك فما زالت خافية على الكثيرين من الراغبين فى ممارسة الإسفاف بقصد الشهرة والثراء السريع .

ورغبة فى مساعدة هؤلاء التافهين على تحقيق هذا الهدف الذى يتطلعون إليه ، نذكر فيما يلى فوائد الإسفاف الخمس .. واحدة تلو الأخرى :

الفائدة الأولى بالنسبة لأى شاب يرى فى نفسه أنه يتمتع بقدر كبير من الرقاعة والجرأة على مواجهة وارضاء الجماهير من عشاق الإسفاف .. فعليه فى هذه الحالة أن يبحث عن مؤلف تافه يؤلف له كلمات تافهة ، ويعطيها لملحن تافه يلحن له أغنية تافهة ، فيعبثها فى شريط تافه ، أو يقذفها فى آذان البسطاء والتافهين .. وبهذه الكيفية سيستطيع هذا الشاب الحصول على لقب « مطرب » وسيركب المرسيدس أو الچاجوار ، وتمتلىء جيوبه وبنوكه بالمال ، وستنشر أخباره وصوره فى الجرائد والمجلات .

والفائدة الثانية تقتصر على أى ممثل ـ أو ممثلة ـ يرى فى نفسه قدرة على الخروج على النص ، ويجيد البذاءة واستخراج التلميحات المنحطة من الكلمات العادية ، ويتكلم بطريقة الهبل أو المساطيل أو الشهامين أو مدمنى البرشام ، ويرقص أو يتنطط كالقرود .. وعندئذ ستنهال عليه الطلبات لبطولة ما يسمى بالمسرحيات ، وسيكسب بالتالى آلاف الجنيهات ، عشرات عشرات .

والفائدة الثالثة تعود على أى شخص يكون خالياً من أية مواهب ،

ولكنه على علاقة ما بالمشتغلين بتجارة فن المسرح أو تجارة فن السينما .. فإذا كان هذا الشخص يستطيع أن يفك الخط فإنه يستطيع أن يقنع هؤلاء التجار بأنه قادر على استخدام الإسفاف فى وضع عناوين الأفلام والمسرحيات ، ويقدم لهم قائمة ببعض هذه الأسماء والعناوين مثل : صراع فى الجحيم الملهلب .. الشيطان يتحدى الأخطبوط .. الأشرار فى وكر التنين .. العنكبوت مصاص الدماء .. الذئاب يلتهمون الفتاة .. المساطيل الوطنيون .. زوبة العجلاتية رقاصة الانجليز .. سماره بتاعة الدعارة .. غرام وانحطاط .. بحبك يا ابن «....» إلى آخر هذه الأسماء المسفة التافهة .. وعندئذ سيرحب به هؤلاء التجار ويدخلونه شريكاً فى الإنتاج .. ومن الجائز أن يصبح زعيماً للمنتجين السينمائيين والمسرحيين .

والفائدة الرابعة خاصة بذوى المقدرة على تأليف الكتب وكتابة المقالات فى الصحف والمجلات ، بشرط أن يكونوا من المتمتعين بقدر كاف من الجهل وبراعة تزييف الحقائق والرغبة العارمة فى الإسفاف الأدبى والثقافى والسياسى .. فهؤلاء يستطيعون تحقيق شهرة عريضة بين يوم وليلة إذا كتبوا مقالات أو أصدروا كتباً تحمل مثل هذا العناوين : أنا والزعيم .. كيف ضربت الزعيم قلمين .. الزعيم لم يسمع كلامى فضيع البلد .. حكاية فنانة ضبطتها الشرطة .. فلافيلو بطل الكرة العالمى .. ناس جنس وناس جنس .. إلى آخر مثل هذه العناوين الهلس .. ومن المؤكد أن هذه الكتب ستجد الرواج والانتشار ، وتطبع عدة مرات ليل نهار ، فتنهال عليهم الأموال كالأمطار ، ويشتهرون شهرة الثور والحمار .

والفائدة الخامسة والأخيرة يتمتع بها عشاق الإسفاف الذين يعجبون بالمسفين ، والذين يقبلون على الإسفاف أينما كان مختبئاً فى دور السينما والمسارح ، أو فى صفحات الكتب والجرائد والمجلات ، أو ملعلعاً فى علب الليل والكباريهات .. أو مجلجلاً فى شرائط الڤيديو والكاسيتات .. فهؤلاء جميعاً ينعمون بالجهل وينعم الجهل بهم ، ويعيشون سعداء هانئين، بالهم رائق وفرحانين ..

النيل وعشاقه .. وتباريح هواهم !

من النكت البايخة نكتة سمعتها عن حبيبين شابين كانا يجلسان على شاطىء النيل فى ضوء القمر .. فقالت الحبيبة الشابة لحبيبها : شايف القمر يا قمر .. وحتى يبادلها الحبيب الشاب سؤالاً بسؤال قال لها : شايفة النيل يا نيلة !

معذرة لو كانت هذه النكتة لم تعجبكم كما ينبغى .. ولكنها ذكرتنى بعادة غرامية جميلة يتبعها جميع « الروميوهات » المصريين خصوصاً فى مرحلة الهوى العذرى وقبل أن يتحول الهوى إلى مسارات أخرى .

لقد اعتاد الروميو المصرى على مصاحبة « جولييته » ويسميها عادة «الجو بتاعه » إلى نزهة يلعب فيها النيل الدور الأول .. فقد تكون النزهة عبارة « تمشية » بطيئة على « الكورنيش » .. أو الجلوس على أحد المقاعد الحجرية قرب الشاطىء حيث ينتشر باعة الاحتياجات الغرامية الرخيصة كالفول السودانى وحمص الشام والترمس والذرة المشوية ..

وإذا كان الروميو يتمتع بشىء من الجرأة فإنه قد يستأجر « فلوكة » أو قارباً صغيراً ليصحب حبيبته فيه ويجدف بقوة ليبرز عضلاته من ناحية أو ليسمع صرخات حبيبته اللطيفة التى تطلقها عندما تمثل دور الخائفة!

ولاشك فى أن النيل منذ الأزل كان يضفى طابعاً رومانسياً على علاقات العشاق المصريين الذين كانوا ـ ومازالوا ـ يعيشون حوله منذ أقدم العصور وحتى الآن .. ودخل النيل كعامل مشترك أعظم فى معظم أغانى الحب والهوى التى تتردد أصداؤها فى كل المدن والقرى المصرية المقامة على ضفاف النيل وروابيه الخضراء ..

ومن الغريب أن المعانى والأمانى التى كانت تتضمنها هذه الأغنيات ظلت كما هى بالرغم من مرور آلاف السنين .. وإذا كنتم لا تصدقون هذا القول فهاكم بعض الأمثلة :

عثر الأثريون على بردية يرجع تاريخها إلى أكثر من أربعة آلاف سنة ، تتضمن بعض الأغانى التى كانت تنشدها الفتيات فى مدينة « منف » التى كانت عاصمة للديار المصرية فى ذلك الحين .. وتقول كلمات الأغنية : « متى يأتى اليوم يا حبيبى .. حين تأخذنى إلى شاطىء النيل .. ونظل هناك حتى تغرب الشمس .. ويسطع نور القمر » .. ؟!

أليس من الواضح أن معانى كلمات هذه الأغنية ظلت سارية المفعول على مدى آلاف السنين حتى كررها محمد عبد الوهاب باللغة العربية فى أغنيته الشهيرة : « إمتى الزمان يسمح يا جميل .. واقعد معاك على شط النيل » .. ؟!

ومثال آخر ..

تقول كلمات إحدى هذه الأغنيات المصرية القديمة :

« أيها الملاح .. لا تفرد شراع السفينة .. خذنى معك فى رحلتك فوق الماء .. وانزلنى على البر البعيد .. حيث ينتظرنى حبيبى » ..

وبعد عدة آلاف من السنين .. شدت أم كلثوم بأغنيتها الشعبية التى تقول كلماتها مرددة نفس معانى الأغنية القديمة : « يا مسافر على بحر النيل .. أنا لى فى مصر خليل .. من حبه ما بنام الليل .. على بلد المحبوب ودينى » ..!

ومثال ثالث أظرف وألطف لأغنية أثرية قديمة كان يغنيها شاب من العشاق وتقول كلماتها : « حبيبتى على البر الآخر .. جالسة هناك فى بيت أبيها .. ليتنى أستطيع أن أراها ولو فى لمحة عين .. ليتنى أستطيع العبور إلى البر الآخر ولو أخذ المراكبى كل ما أملك ! » ..

ومرت آلاف السنين ، وجاء مطرب مصرى عريق اسمه عباس البليدى ـ وهو من مطربى الجيل السابق أصحاب الأصوات الجميلة والذين يجيدون أداء الألحان الممتعة ـ وغنى أغنية رقيقة هادئة تقول كلماتها : « عدينى يا معداوى واديك ريالين فضة .. مجروح وحبيبى مداوى واللى عليه العين ترضى » .. !

أليست معانى هذه الكلمات هى نفسها معانى كلمات الأغنية القديمة .. وأن الحكاية هى نفس الحكاية .. ففى الحالتين هناك عاشق يقف على أحد شاطئى النيل .. ويريد أن يعبر النهر إلى الشاطىء الآخر لأسباب تتعلق بتباريح الهوى ولوعة الشوق .. وربما كان الفارق الوحيد

بين العاشق القديم والعاشق الذى جاء بعده بآلاف السنين ، أن الأول كان يريد أن يعبر النيل لمجرد أن يرى محبوبته وهى جالسة فى بيت أبيها ولو فى لمحة عين ، وهذا فى حد ذاته غرض معقول ولا بأس به .. أما العاشق الثانى فهو يدعى أنه مجروح ويريد أن يعبر النهر بسرعة حتى تقوم حبيبته باسعافه أو مداواته .. ربما لأن حبيبته تمرجية أو ممرضة أو طبيبة جرّاحة فتخيط له الجرح بغرزتين .. ومع ذلك فأغلب الظن أن الموضوع كله من مبالغات العشاق الذين يجيدون الكذب فى التعبير عن الحب وتباريح الهوى ..

ويتماثل العاشقان ـ القديم والحديث ـ فى أن كلاً منهما على استعداد لأن يعطى المراكبى الذى سيقوم بتوصيلهما إلى البر الآخر مبلغاً كبيراً من المال .. فالعاشق القديم مستعد لإعطاء المراكبى كل ما يملك .. وهذا فى حد ذاته نوع من التهور إلا إذا كان العاشق لا يملك شيئاً ..

أما العاشق الحديث فقد كان أكثر حرصاً وحدد أجر المعداوى منذ البداية بريالين من الفضة .. وهو مبلغ جسيم يساوى نحو ألف جنيه بأسعار العملة هذه الأيام .. ولهذا فمن المتوقع أن ينتهى الأمر بالفصال.. ولن يحصل المراكبى المعداوى من هذا العاشق إلا على رغيف من الخبز أو كوز من الدره .. !

الفرق بين النيلة .. والستين نيله

كثيرون لا يعرفون الفرق بين « النيلة » و « الستين نيلة » .. بل ويعتقدون أن الستين نيله عبارة عن نيله واحدة مضروبة فى ستين .. وهذا غير صحيح .

من المعروف علمياً أن « النيلة » هى صبغة نباتية ذات لون أزرق بديع، تستخرج من نبات له اسم لاتينى صعب ولكنه معروف شعبياً فى مصر باسم النيله : وكان قدماء المصريين يزرعونه بكثرة للحصول على اللون الأزرق ومشتقاته .. وهم الذين ابتدعوا دهان وجوه النساء باللون الأزرق كطقس دينى تستكمل به طقوس اللطم والصوات لزوم الجنازات.

وعلى ذلك فعندما تقول المرأة المصرية لابنها الشقى أو لزوجها التعس : « جتك نيلة » فهى لا تقصد بذلك إلا أن تراه مدهوناً باللون الأزرق وهى عملية بسيطة ليس وراءها ضرر كبير ..

وتخطىء نساء كثيرات حين يقلن : «جتك نيله سوده » وذلك على أساس أنه لا توجد من الناحيتين العلمية والعملية « نيلة سوداء » لأن كلمة « نيله » أصبحت تعنى فى أغلب الأحوال « اللون الأزرق » .. بل

ويوصف اللون الأزرق بأنه « أزرق نيلى » إذا كانت درجته اللونية هى نفس درجة الزرقة فى لون النيلة .

وبنفس القياس فإن كلمة « يا منيّل » التى تستعمل كثيراً فى النداءات وفى المناقشات التى تدور بين الجهلاء والمثقفين ، لا يقصد بها إلا ما معناه « يا مدهون بالأزرق النيلى » وهى شتيمة مضحكة فى حقيقة الأمر إذا طبقت عملياً .

أما الذين يقولون : « دى حاجة نيلة خالص » .. وقد انتشروا كثيراً فى هذه الأيام لكثرة ما يصادفونه ويلقونه من أمور لا تعجبهم أو ما يسمعونه من كلام ليس على مزاجهم أو هواهم ، فهؤلاء القوم فى غفلة تامة عن المعنى الحقيقى لكلمة « نيلة » التى أصبحوا يستعملونها فى وصف كل حاجة .. وذلك على أساس أن من الصعب ـ بل ومن المستحيل ـ أن تصبح جميع الحاجات والأمور « منيلة » هكذا .. أى مدهونة بالأزرق .

أما بالنسبة لمصطلح « الستين نيلة » فالأمر هنا يختلف اختلافاً جذرياً عن معانى واستخدامات كلمة النيلة ومشتقاتها .. الموضوع هنا رمزى وفيه كثير من الغموض .. ولا يدرى أحد منذ متى بدأت إضافة الرقم ستين إلى النيلة .. ومع ذلك فأغلب الظن أن المقصود هو « عدد ستين أردب نيلة » لأن النيلة كانت تتداول وتباع بين الناس بالأردب والويبة والكيلة والقدح والربعة .. ومن الواضح أن هذا المصطلح « نسوى »

الأصل .. أى ظهر واستخدم على ألسنة النساء السليطات حين كن يبالغن ويرفعن أصواتهن بمصطلح « جتك نيلة » .. وغيرته إلى مصطلح « جتك ستين نيله » بعد حذف كلمة أردب .. وذلك على أساس أن استخدام المصطلح الأصلى « جتك ستين أردب نيلة » سيحول الأمر إلى دعاء بالنجاح والفلاح .. بمعنى أن المرأة تقول : فليرزقك الله بستين أردب نيلة فتصبح عندئذ من الموسرين الأغنياء حين تبيع هذه الثروة الطائلة التى تبلغ من النيله ستين أردباً ..

ومن أشهر النساء اللاتى استخدمن مصطلح « جتك ستين أردب نيله » الفنانة الراحلة « ميمى شكيب » التى استخدمته كثيراً فى أداء أدوارها بمسرحيات نجيب الريحانى .. وكانت لها طريقة خاصة مميزة فى القاء هذا المصطلح .. وقد حاولت نساء كثيرات تقليد هذه الطريقة فى الإلقاء خصوصاً عند حدوث واستحكام الخلافات الزوجية .. حيث يظن الزوج أن استخدام الزوجة لهذا المصطلح بصوت عالٍ فيه إهانة له.. فى حين أن الزوجة ، وإن كانت تقصد الإهانة فى المقام الأول ، إلا أنها تتمنى بالفعل ومن صميم قلبها أن يرزق الله زوجها بستين أردباً من النيلة وهى بضاعة غالية الثمن يمكنه أن يبيعها فى السوق وينفق ثمنها عليها وعلى أولادها ويصرف الباقى على حاجيات البيت ..

وفى زماننا المعاصر طرأ مفهوم جديد لمصطلح « الستين نيله » .. فقد ابتعد تماماً عن ارتباطه بصبغة النيله ونباتها وأصبح يشكل « ظاهرة سلوكية » .. كما يشكل « طريقة أداء » .. تمثل خطراً داهماً يهدد جميع

الأقوال والأعمال كما يهدد أساليب الإنتاج .. حيث شاع وذاع استخدام هذا المصطلح باستمرار وأصبح لا غنى عنه فى وصف الحياة وسط كل هذه الأشياء والأمور المنيلة بستين نيله كما يقولون ..

وهذا فى حد ذاته استخدام جديد لهذا المصطلح ، يشهد على قدرة الشعب على « تطويع » اللغة للتعبير عما يجول بالنفوس .. ولذلك فقد لزم التنويه .. !

على وزن « تحرير » .. !

يميل المتحدثون بلغة الضاد إلى « تفعيل » وزن الكلام .. كما يحبون استخدام كلمة « تحرير » وبقية ما على وزنها من كلمات « التعبير » .

ولعل أشهر « تحرير » فى وقتنا الحاضر هو تحرير الكويت .. وعندنا فى مصر ميدان التحرير ومديرية التحرير ومحطة التحرير وهيئة التحرير بالإضافة إلى كثرة من يقومون « بتحرير » و « تسطير » الخطب والمقالات بقصد « تسيير » الأمور و «تمرير» المشاكل و « تصوير » الحياة بلون بمبى فاتح و « تنظير » النظريات بأن هذا هو « التغيير » و « التطوير » و«التيسير » على الناس « لتدبير » شئونهم دون حاجة إلى « تحذير » أو «تصفير » .

وتحتاج الكويت إلى « تعمير » ما حدث من « تدمير وتكسير وتفجير». وقد اشتركت مصر فى التحرير ولكنها لم تشترك بقدر مناسب فى التعمير . وذلك دون « تبرير أو تقدير أو تفسير » . ونقول هذا على سبيل « التنوير والتذكير والتبصير » وليس على سبيل الإفتراء أو «التشهير » . ولا نقصد « التعكير ولا التكدير ولا التكشير » وذلك بصراحة ودون لف ولا « تحوير » بقصد « التنفير » أو « التنقير » .

ولشدة ولع الناطق بالضاد فى تفعيل التفعيل على وزن « تحرير » قام بابتداع و«تحضير» الكلمات و«تحرير » المعانى ليحصل على الوزن المطلوب ، فاستخدم كلمة « تحمير » للحوم والبطاطس والفراخ .. كما استخدمها لتحمير العقول وهى طريقة مستحدثة للتحدث إلى الناس وكأنهم حمير لا يفهمون .

كما استخدم كلمة « تقمير » للعيش ، وكلمة « تقوير » للباذنجان ، وكلمة « تسفير » للعمالة الماهرة ، وكلمة « تحشير » لركوب الأتوبيسات ، وكلمة « تهبير » فى سف الأموال سواء بالباطل أو « بالتسعير » .

ومن الإبداعات الحديثة أيضاً أن التليڤزيون استخدم فى « تسهير وتسمير » الناس أمامه لسماع ومشاهدة « تجعير وتنعير » من يسمون بالمطربين الجدد ، كما استخدم أيضاً « لتكوير » الناس والحياة بكرة يتقاذفها اثنان وعشرون لاعباً ، وفى « تطيير وتسخير » العقول بحل الأحاجى والفوازير ، وبنشر المعر و«التمعير » بقصد « التصبير » و«التخدير » وبذلك لا ينام الناس حتى يقل « التشخير » وينعدم «التبكير » .

ولا يحتاج الأمر إلى « تشمير » الأذرع لكى نفهم أن البعض يقومون «بتبوير» الأرض الزراعية لبناء العمارات و«التعمير» ولو أدى ذلك إلى «تصغير » الرقعة المزروعة بطعام الإنسان والحيوان ، واختفاء « التخضير والتشجير » .

كذلك لا يحتاج الأمر إلى بحث كبير أو « تدوير » كثير لنفهم أن كلمة « تزوير » أصبحت شائعة فى المستندات وغيرها من المناسبات . وأن كلمة « تعثير » أصبحت دستوراً لحل المشاكل لدى الجهات الرسمية، وأن « التحقير » هو عكس الاحترام و«التوقير» .. وأن مطواة قرن الغزال أصبحت أداة « للتعوير » كما أصبح الساطور بالنسبة للزوجات أداة للتقطيع و«التشطير» .. !

فذلكة .. فى اللكلكة والهمبكة

عندما يزهق فلان من حديث علان ، ويريد فلان أن يقفل الموضوع مع تسخيف كل ما قاله علان ، فانه يشخط فيه باستهانة ويقول : « يا عم بلاش فذلكة » .. وهذا خطأ لغوى يدل على الجهل ..

فكلمة فذلكة معناها « مجمل القول وخلاصته » وعلى هذا الأساس نقدم إليكم صنفاً من الفذلكة خاصاً باللكلكة والهمبكة .

وقبل أن نبدأ الكلام نقول أن أبناء البلد المصريين يتمتعون بعبقرية خاصة فى اختراع الكلمات والمصطلحات الخاصة التى تغنى الكلمة الواحدة منها عن تفاصيل موضوع كامل .. وهناك عدد من الكلمات الحديثة اخترعوها كلها على وزن « فذلكة » .

فهم يقولون أن فلاناً « متأنتك » آخر « أنتكه » .. وذلك بدلاً من قولهم القديم أن فلاناً هذا « لابس اللى ع الحبل كله » .. وكان الإنسان فيما مضى يلبس هدومه من على الحبل المنشورة عليه لتجفيفها بعد الغسيل.. وذلك بدون « مكوه » .. فتكون الهدوم مكرمشة وليس فيها «أنتكه» ..

وابتدعوا أيضاً كلمة « فبركه » .. وهى كلمة شائعة فى أوساط بعض

الكتاب والصحفيين وبتوع الإذاعة والتليڤزيون وغيرهم ممن يفبركون الأشياء والأخبار والتعليقات والموضوعات لغرض فى نفس يعقوب المعروف .

أما كلمة « تكتكه » فأغلب الظن أنها تحوير لكلمة « تكتيك » التى تعنى وضع الخطط السريعة وتدبير المواقف والحصول على النتائج بسرعة فائقة .. وعلى سبيل المثال فإن بعض أعضاء مجلس الشعب يتكتكون لتمرير وإقرار بعض القوانين الخطيرة بسرعة « الصوت » .. ومن هنا جاءت كلمة « التصويت » ..

وتستخدم كلمة « تكتكه » أيضاً فى البرد ، فيقولون أن فلان بيتكتك من شدة البرد .. أو بيتكتك من شدة القرف وشيل الهم والغم .

وعلى هذا القياس يستخدمون كلمة « حنتكه » على من يتحنتك ويزوق الكلام ويجعله معسولاً ويستحمر عقول الناس ويستلبخهم ويستلطخهم ويستهبلهم ويستكردهم .

أما « الشكشكة » فتشكل الآن نوعاً من الإحساس الشعبى العام بسبب الارتفاع المستمر فى الأسعار بطريقة تؤدى إلى هرش المخ الذى يؤدى بدوره إلى إحساس غامض باللوعة والشكشكة .

ونأتى الآن إلى « اللكلكة » وهى نوع من الفن الردىء لكيفية أداء الأعمال .. وقد ظهرت اللكلكة أولاً بين موظفى الحكومة والقطاع العام الذين يبررون لكلكه الشغل بقولهم : « على قد فلوسهم ! » .. ثم انتقلت

اللكلكة بعد ذلك إلى الحرفيين من سباكين ونجارين ونقاشين وميكانيكية وسمكرية وكل من يماثلهم من الفئات الأخرى الذين أصبحوا يرغبون فى الحصول على الأموال الجمة نظير تقديم أعمالهم السيئة التى يلكلكونها دون اتقان ..

واللكلكة بهذا المعنى هى أداء الأعمال بطريقة « كل شن كان » أو بطريقة « سد الخانة وخلاص » . أو بطريقة « زى ما تيجى تيجى » .. وهذه كلها طرق مستحدثة ظهرت بعد غياب الضمير وانعدام الرغبة فى التفاخر بالعمل الجيد .. واعتناق مبدأ فوت علينا بكره يا سيد ..

وفى قواميس اللغة العربية الفصحى نجد فعل « لكّ يلُكُّ » ومعناه الصفع على القفا بكف اليد .. أى أن « اللك » هو الضرب على القفا .. وقد يقال قياساً على ذلك أن «اللكلكه » هى الضرب على القفا «مرتين » ولكن هذا القول خاطىء وليس له سند يسنده .

ونأتى أخيراً إلى حسن الختام ونشير إلى كلمة « همبكة » .. وهى كلمة شعبية مصرية خالصة ، تتميز بالدقة الشديدة فى التعبير عن الرأى العام فيما يراه الشعب أو يسمعه .. وقد ظهرت هذه الكلمة وترعرعت فى فترة ما قبل النكسة .. ثم ذاعت وشاعت وتغلغلت إلى أن أصبحت أسلوباً متميزاً يعرفه الناس فى لمح البصر .. ويدركون على الفور من هو الهمباك وما هو صنف الهمبكة التى يهمبكها .. وهكذا تعارف الناس على أن الهمبكة هى أن تقول مالا تفعل أو تفعل مالا تقول .. أو أن تودّى الناس فى داهية وتحاول فى نفس الوقت أن تقنعهم بأنك تسوقهم إلى النعيم ..

وبالهمبكة أيضاً تستطيع أن تشتغل شغل « حلّق حوش » وتقول فى وسط الزحام « اوعى الجاز » فيوسعون لك السكة خوفاً من أن تعوصهم بينما أنت لا تحمل جازاً وتضحك عليهم وتفوز بطريقك سالكاً ..

أما أطرف تطبيقات الهمبكة على الإطلاق فهى كلمة « لا مساس » التى شاع استعمالها فى السنوات الأخيرة بمعنى مساس فى مساس .. !

فما رأيكم .. ؟!

لا تذهب مع الشاطر إلى القناطر !

بعد أن امتلأت بلادنا بالشطار الذين يمكرون بالآخرين ويستولون على أرزاق الناس بالنصب والإحتيال ، أو بذلك الاختراع الجهنمى المسمى بشركات توظيف الأموال ، أرجو من اخوانى أبناء العروبة أن يتوقفوا فوراً عن اطلاق وصف « الشطارة » و«الشطار» على الناس الشرفاء ..

أننا نرتكب خطأ جسيماً حين نصف ابنا لنا بأنه « شاطر » لأن يذاكر دروسه جيداً ويؤدى واجباته المنزلية ويتصرف بحكمة و«مجدعة» .. ونرتكب نفس الخطأ حين نصف البنت بأنها « شاطرة » لأنها تواظب على التعلم بالإضافة إلى قيامها ببعض أعمال البيت من طبيخ وغسيل وكى أو اجادة صنع فنجان القهوة المضبوط .

ونمعن فى الخطأ أكثر وأكثر حين نصف الناس الذين يكسبون كثيراً بأنهم «شطّار » بصرف النظر عن الحلال والحرام .

هل تعرفون المعنى المخيف الذى يتخفى وراء كلمات شائعة الاستعمال مثل : الشطارة والشاطر والشاطرة والشطار ؟ ..

ارجعوا إذن إلى قواميس اللغة العربية ومعاجمها .. ستجدون العجب العجاب .

فى لغتنا العربية الجميلة أيها الإخوة المواطنون .. كلمة « شاطر » تعنى « الشخص الذى أعيا قومه شراً وخبثاً » .. وتعنى « الخبيث الفاجر الشرير الذى يستخدم المكر والدهاء والاحتيال فى تحقيق أطماعه واغراضه ومفاسده » .

وكلمة « شطارة » تعنى الخبث والشر والفجور والإحتيال على الآخرين وخداعهم .. أما كلمة « شُطّار » فهى جمع كلمة « شاطر » بمعناها السابق .

وفى القصص الشعبى المتوارث حكايات كثيرة عن « الشطّار » وهم مجموعة من النصابين واللصوص وقطّاع الطرق .. فهناك حكايات عن «الشطّار » الذين كانوا يسرقون الحمير من القرى ، ويصبغون شعر الحمير المسروقة حتى يتمكنوا من عرضها وبيعها فى الأسواق .. وحكايات أخرى عن « الشطّار » الذين كانوا ملثمين ويقطعون الطرق على العابرين ليلاً أو نهاراً ، ويستولون على كل ما معهم ويجردونهم من ثيابهم ويتركونهم عرايا كما ولدتهم أمهاتهم .. وحكايات عن « الشطّار » المحتالين الذين كانوا متخصصين فى الضحك على ذقون التجار ، فيعقدون معهم صفقات وهمية ويبتزون منهم مايستطيعون ابتزازه ثم يفرون ويختفون كأنهم فص ملح وداب ..

وبالرغم من وضوح تلك المعانى لكلمات الشطارة والشاطر والشطّار،

فقد شاعت فى جيلنا أغنيه شعبية تقول كلماتها : « تعال يا شاطر نروح القناطر » .. وقد انتشرت تلك الأغنية انتشاراً عظيماً بين الناس .. وأصبحت اسطواناتها تدور فى كل بيت فيه « فونوجراف » ..

ويبدو أن المستمعين المعجبين بتلك الأغنية كانوا يتصورون أن «الشاطر » هو من يلبى الدعوة التى تبديها « المغنية » بالذهاب معها إلى القناطر حيث توجد أكبر وأوسع حديقة فى مصر .. وكانت المغنية ـ والحق يقال ـ توجه هذه الدعوة إلى الشاطر بميوعة واغراء ١٠٠٪ .

ومع ذلك فأغلب الظن أن « المغنية » كانت « شاطرة » هى الأخرى ، بل ويبدو أنها كانت أكثر « شطارة » من « الشاطر » الذى توجه إليه دعوتها بالذهاب معها إلى القناطر ، حيث تتمكن هناك من استغلال «شطارتها » فى نصب الحبائل والشباك وعمل الحركات اللازمة للايقاع بالشاطر الذى لبى دعوتها ، والاستيلاء على ممتلكاته التى حصل عليها عن طريق « الشطارة » .. وفى أغلب الأحوال ينتهى الأمر بزواج الشاطر من الشاطرة ، توطئة لتكوين عصابة جديدة من « الشطار » !

وبعد هذا كله ..

إياك أن تصف أحداً بأنه شاطر ، أو تصف واحدة بأنها شاطرة ، أو تصف قوماً بأنهم شطّار ، إلا إذا كنت متأكداً من انطباق الوصف بكل معانيه !

وإياك أن تذهب مع أى شاطر إلى القناطر .. فقد تنتهى « الفسحة» بسوء العواقب والمخاطر .. !

عوجة اللسان .. الآن .. وأيام زمان !

لا يغيظنى شىء فى هذه الدنيا قدر هؤلاء الذين سنحت لهم الظروف بزيارة أوربا أو أمريكا ، ثم عادوا مشمئزين من بلادهم وأهلهم .. قرفانين من كل شىء يرونه .. ولسانهم انعوج والتوأ وأصبح يحشر الكلمات الأجنبية بين الجمل والكلمات العربية على نحو أليط مفتعل فيه الكثير من التعالى والغطرسة .

هذا الذى يصر على مقارنة بلبيس بلوس انجليس .. وذاك يقارن ميدان لتوال بباريس بميدان العتبة الخضراء ودرب الجهاميز .. وثالث يقارن ما يحدث فى باب الحديد بما يحدث فى استكهولم عاصمة السويد .. ناس فاضية تستخدم « القنزحة » فى كيد أنفسهم وكيد الناس الآخرين !

والذى يغيظنى أكثر وأكثر ، أنى اكتشفت أن هذا الداء قديم ومتأصل فى نفوس بعض المصريين .. فقد اكتشفت « نصاً » لقصة طريفة ظريفة كتبت منذ مائة عام وعشرة .. عن فلاح ذهب إلى باريس ثم عاد ملووء ومعووج اللسان ..

هل تريدون أن تعرفوا الحكاية من البداية ؟ .. إذن اسمحوا لى أن

أحدثكم قليلاً عن عمنا وتاج رأسنا استاذ الكتابة الكاريكاتيرية الساخرة : عبد الله النديم .

هو كاتب ساخر من ألذع الكتاب سخرية .. وشاعر متمكن من الفصحى ينظم بها شعراً يختلط فيه الجد والهزل .. وزجال متمكن من العاميه فيوظفها لنقد العيوب بأجمل التعبيرات وأسهلها وأشدها فكاهة وجاذبية . وهو خطيب مفوّه يثير الشجون ويهيّج المشاعر الوطنية .. وهو صحفى مبتكر يكتب المقالة فيُبكى الناس ويضحكهم .. وهو وطنى ثائر يدافع دائماً عن وطنه ومواطنيه ، وتعرض بسبب ذلك للنفى مرتين بعيداً عن بلاده وأهله .

ولد هذا الساخر العظيم فى الاسكندرية سنة ١٨٤٣ ومات منفياً فى الآستانة سنة ١٨٩٦ بعد حياة حافلة أضحك فيها الناس وألهب مشاعرهم وأثار غيرتهم على أوطانهم .

ومن أشهر المجلات التى أصدرها ورأس تحريرها مجلة التنكيت والتبكيت [سنة ١٨٨١] ومجلة الاستاذ [سنة ١٨٩٢] .

وفى مجلة التنكيت والتبكيت وتحت عنوان « عربى تفرنج » يقول عمنا عبد الله النديم :

« ولد لأحد الفلاحين ولد ، فسماه زعيط ، وتركه يلعب فى التراب ، وينام فى الوحل ، حتى صار يقدر على تسريح الجاموسة ، فسرحه مع البهائم إلى الغيط ، يسوق الساقية ويحول الماء . وكان يعطيه كل يوم

أربعة أرغفة وأربعة أمخاخ بصل . وفى العيد كان يقدم له « اليخنى » ليمتعه بأكل اللحم والبصل . وبينما هو يسوق الساقية وأبوه جالس عنده، مربهما أحد التجار فقال لأبيه :

« لو إنك أرسلت ابنك إلى المدرسة لتعلّم وصار إنساناً » .. فأخذه وسلمه إلى المدرسة . فلما أتم العلوم الابتدائية ، أرسلته الحكومة إلى أوربا ليتعلم فناً عينته له . وبعد أربع سنين ركب الوابور ، وجاء عائداً إلى بلاده . ومن شدة فرح أبيه حضر إلى الاسكندرية ، ووقف برصيف الجمرك ينتظره ، فلما خرج من الفلوكة ، اقترب أبوه ليحتضنه ويقبله ، شأن الوالد المحب لولده ، فدفعه الولد فى صدره ، وجرى بينهما هذا الحوار :

زعيط : سبحان الله .. عندكم يا مصريين مسألة الحضن دى قبيحة جداً .

معيط [أبوه] : أمال يا بنى نسلم على بعضنا إزاى ؟

زعيط : قل « بون أريڤى » وحط إيدك على إيدى مرة واحدة وخلاص.

معيط : لهو يابنى أنا بقول انى منيش ريفى .

زعيط : موش ريفى .. أنا قصدى « أريڤى » ياشيخ .. انتم كده يا ولاد العرب زى البهايم !

معيط : الله يسترك يا زعيط ! .. والله بان خيرك .. يا بنى فوت روّح فوت !

فلما وصل إلى « الكفر » قامت أمه « معيكه » وعملت له طاجناً فى الفرن مملوءاً لحماً وبصلاً .. فلما رآه زعيط قال لأمه :

زعيـط : ليه كتّرت من الـ ..

معيكه : من إل إيه يا زعيط ؟

زعيـط : من البتاع اللى اسمه إيه ده ..

معيكه : اسمه يا بنى الفلفل .

زعيـط : نو ..نو .. البتاع ده اللى بيتزرع ..

معيكه : الغله يا بنى ؟

زعيـط : نو .. نو .. ده اللى يبقى له راس فى الأرض .

معيكه : والله يا بنى مافيه ريحة التوم .

زعيـط : نو .. أنا قصدى البتاع اللى بيدّمع العينين .. اللى اسمه «أونيون» !

معيكة : والله يا بنى مافيه أونيون ولا حاجة .. ده لحم بالبصل ..

زعيـط : سى .. صا .. بصل .. بصل !

معيكة : يا زعيط يا بنى انت نسيت البصل .. وانت اللى كان أكلك كله منه .. ؟!!

●● ألم أقل لكم منذ البداية أن الحكاية قديمة ومتأصلة ؟ .. وهل تأكدتم الآن من أنه لا جديد تحت الشمس ؟ .. براڤو !!

الضحك بطريقة جادة !!

الضحك ضرورة من ضرورات الحياة . ولولا الضحك بين حين وحين لأخذ الناس يطقون واحداً وراء الآخر . ومع ذلك فهناك ناس يموتون من شدة الضحك .

ويقول الحكماء الشعبيون أن الضحك لابد أن يكون بسبب ، لأن الضحك بلا سبب قلة أدب .. وهذا القول قد يكون منطقياً فى نصفه الأول ، ولكنه يتجاوز المنطق فى نصفه الثانى ، إذ لا بأس اطلاقاً أن يضحك الإنسان بلا سبب ، بل ربما يكون هذا النوع من الضحك غير المستند إلى سبب أفضل بكثير من الضحك المسبب .

ويقول اللغويون وعلماء لغة الضاد : ضَحِكَ يَضْحَكُ ضِحْكاً وضَحِكاً . أى انفرجت شفتاه وظهرت أسنانه وأحدث أصواتاً متقطعة للتعبير عن سروره وانبساطه . وإذا كانت هذه الأصوات عالية فيقال فى هذه الحالة انه يقهقه .

ويقولون ضحكت الأرض أى أخرجت زروعها من نبات وثمار وزهور .

ويقولون أيضاً ضَحَّكَ يُضَحِّكُ تَضْحِيكاً . أى جعله يضحك وأثار ضحكه فأضحكه إضحاكاً .. أما الذى يتضاحك فهو يتظاهر بالضحك ولكنه ليس بضاحك . ومثله من يضحك سخرية أو استهزاءً.

أما الذى يضحك بحق وحقيق فقد يضحك ضَحْكَةً واحدة أو عدة ضِحْكَاتٍ .. والضحوك هو الشخص كثير الضحك أو هو البشوش الدائم الابتسام .

والضاحكة ليست سيدة ولا آنسة ، وإنما هى « الضرس » الذى يلى الناب ، أو هى كل سن تبدو من فم الضاحك حين يضحك .

والأضحوكة جمعها أضحوكات وأضاحيك ، وهى كل ما يضحك منه الناس أو بسببه .. وهى أيضاً الشخص « المهزؤ » الذى يهزأ نفسه فيصبح أضحوكة للناس .

ويقول البلغاء أن فلاناً قد انفجر ضاحكاً بملء شدقيه أو بملء فيه ، أو ضحك حتى بانت نواجذه ، أو أن فلاناً قد ضحك على ذقن فلان بمعنى خدعه أو استولى منه على أمواله مثلما فعلت بعض شركات توظيف الأموال .. وعفواً لهذا التشبيه لأن « شر البلية ما يضحك » . وهو قول بليغ معناه أن البلية أو البلوى حينما تكون شديدة وغير متوقعة ويكون للإنسان دخل فى حدوثها بسبب الرعونة أو عدم الإحتياط أو الوقوع فى حبائل الخداع ، فعندئذ يقول هذا الإنسان بلوعة : ضحكوا على وأخذوا فلوسى !

والضحك فى هذه الحالة ليس ضحكاً بالمعنى المفهوم ، وإنما هو «الخداع » الذى وقع فيه الشخص المضحوك عليه . وقد يكون من الأفضل والأصح فى هذه الحالة أن يقول الإنسان بلوعة وبلاغة : خدعونى واستولوا على تحويشة العمر ، فأصبح العمر بلا تحويشة !

ويقال فى الفصحى أيضاً ضحك « منه » أو ضحك « به » .. بمعنى سخر منه أو سخر به .. وتحدث هذه الحالة عندما يسخر إنسان من إنسان لأى سبب من الأسباب ، حتى ولو خلت هذه السخرية من الضحك أو كانت تعبيراً عن الغضب بطريقة الزعيق والردح .. بقصد المسخرة أو المرمطة .

ومن هذا كله يتبين لنا أن الضحك لابد أن يكون بصوت مسموع مرتفع أو منخفض . وهذا أمر ضرورى ولازم ، لأن الضحك بدون صوت يصحبه يتحول إلى ابتسام .. وهذا موضوع آخر ..

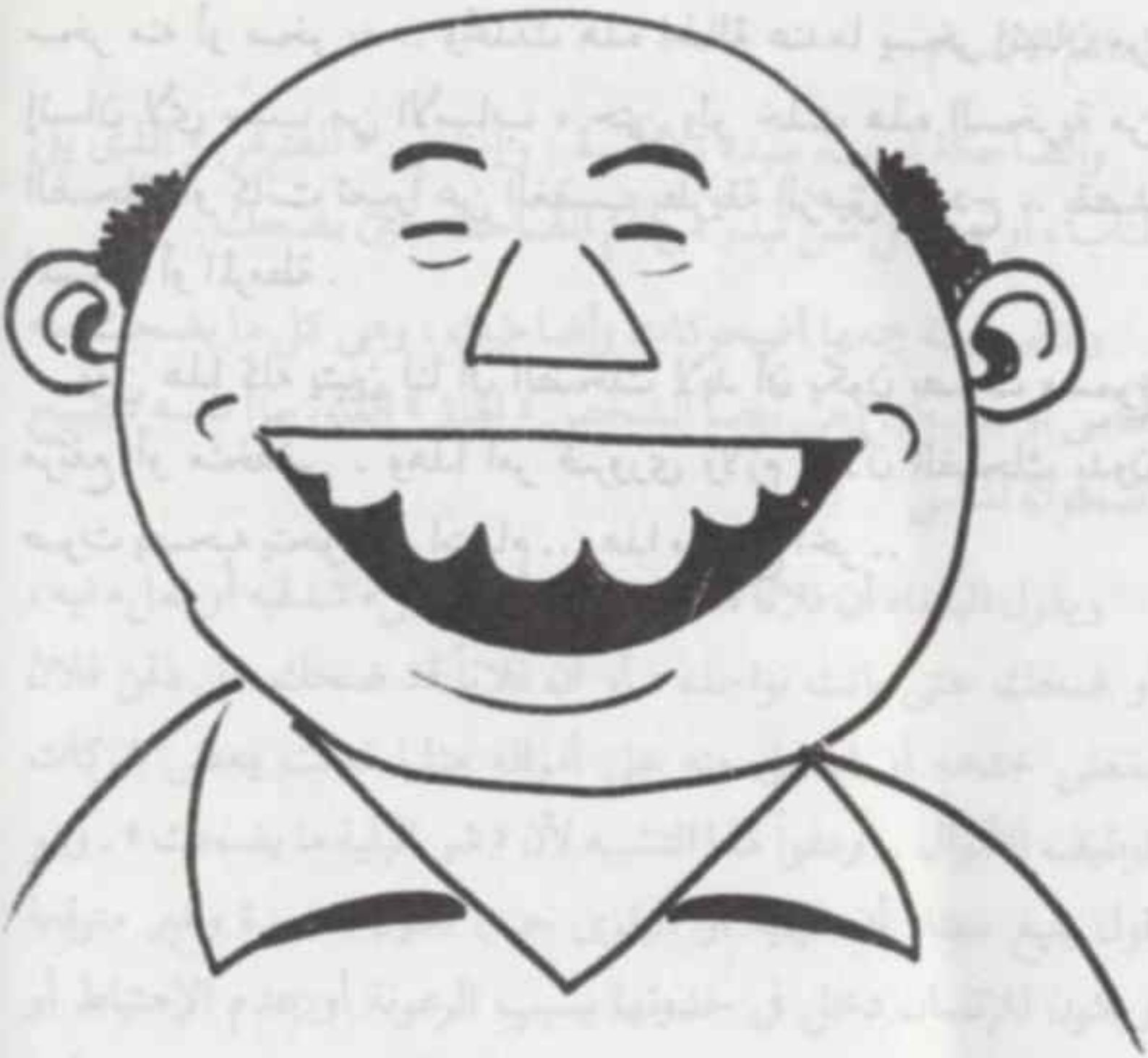

ابتسم يبتسم ابتساماً !

من أسهل الأمور بالنسبة للكاتب المبدع أن يؤلف من الكلمات ما يثير الدموع فى مآقى العيون ، ولكن أصعب الأمور أن يصيغ الكاتب من الكلمات ما يرسم ابتسامة صادقة على وجه إنسان !

وليس معنى هذا أن الإبتسامة صعبة المنال ، أو يبذل من أجلها الإنسان جهداً كبيراً ، بل يكفى دائماً أن يفرج الإنسان شفتيه ويبتسم بدون صوت ، لأنه إذا أخرج صوتاً أثناء الابتسام لتحولت ابتسامته على الفور إلى ضحك . وهذا هو المعيار الصوتى فى التفرقة بين الضحك والابتسام.

ويبدو أن لغتنا الجميلة تهتم كثيراً بكلمة « ابتسام » فهى تستخرج منها أشكالاً وتركيبات وتكوينات لغوية قد لا يوجد مثيل لها فى أية لغة أخرى من لغات الأرض .

نقول فى لغة الضاد : ابتسم يبتسم ابتساماً فهو مبتسم وهى مبتسمة.. ونقول أيضاً : بَسَمَ يَبْسِمُ بَسْماً فهو بَاسِمٌ وبَسَّامٌ وهى بَاسِمَةٌ وبَسَّامَةٌ .. ونقول كذلك : تبسَّم يتبسَّم تَبَسُّماً ..

والابتسامة مفرد جمعه ابتسامات .. كما أن البَسْمَة مفرد جمعه بسمات .

ومن شدة اهتمام اللغة العربية بالابتسام والابتسامة ، أخرج لنا أهل «البلاغة » أشكالاً وألواناً من الصفات التى يمكن أن توصف بها الابتسامة .. وكل صفة من هذه الصفات تعطى للابتسامة بعداً وعمقاً نفسياً خاصاً يجعلها تختلف تماماً عن أنواع الابتسامات الأخرى .

هناك صفات جميلة ومحببة يصف بها بلغاء اللغة الابتسامة فيقولون : ابتسامة ملائكية أو ابتسامة ساحرة .. أو نورانية .. أو ذكية .. أو لطيفة .. أو جميلة .. أو معبرة .. أو شاكرة .. أو مفرحة .. أو صادقة .. أو متدللة .. أو واسعة .. أو بسيطة .. أو ندية .. أو نادرة .. أو عطرة .

وهناك صفات أخرى ذميمة توصف بها الابتسامة فتجعلها قبيحة غير محببة كما تجعل أصحاب تلك الابتسامات غير مقبولين ودمهم ثقيل، أو تعتبرهم من الأشرار الذين يجب أخذ الحذر منهم بالرغم من الابتسامات التى يرسمونها على وجوههم ، فيقال مثلاً : ابتسامة شريرة أو ابتسامة غادرة .. أو صفراء .. أو باهتة .. أو ساخرة .. أو كاذبة .. أو شيطانية .. أو ألعبانية .. أو غبية .. أو هازئة .. أو ماجنة .. أو غامضة .

أما أدباؤنا فيختلفون فى استخدام كلمة « ابتسامة » حسب اختلاف مدارسهم ومناهجهم الأدبية .. فالرومانتيكيون من أصحاب قصص وروايات الحب والهيام والغرام والهوى يقولون مثلاً : فنظرت إليه بدلال وابتسمت ابتسامة ساحرة جذابة وقالت له : خذنى بعارى !!

بينما الأدباء من أصحاب مذهب « الواقعية الاشتراكية » يقولون مثلاً:

.. فنظر إليه بابتسامة ساخرة طبقاً للمبادىء الماركسية اللينينية وقال له : انت بورجوازى متعفن !!

أما الأدباء النص نص فيجعلون أبطالهم يبتسمون ابتسامات عادية .. ابتداءً من الابتسامات البلهاء حتى الابتسامات الوردية الغامضة .

ومن براعة اللغة العربية أنها أخرجت من الابتسامة كلمة « بسيمة » وأطلقتها على نوع لذيذ من الحلوى يصنع من جوز الهند المبشور والسكر وقليل من الدقيق والسمن .. فهنيئاً لآكليها وماضغيها والمتلذذين بلذائذها .. واطمئنوا فالحلويات عندى من الممنوعات ، ولن أقول لكم: « إدُّونى حته » .. !!

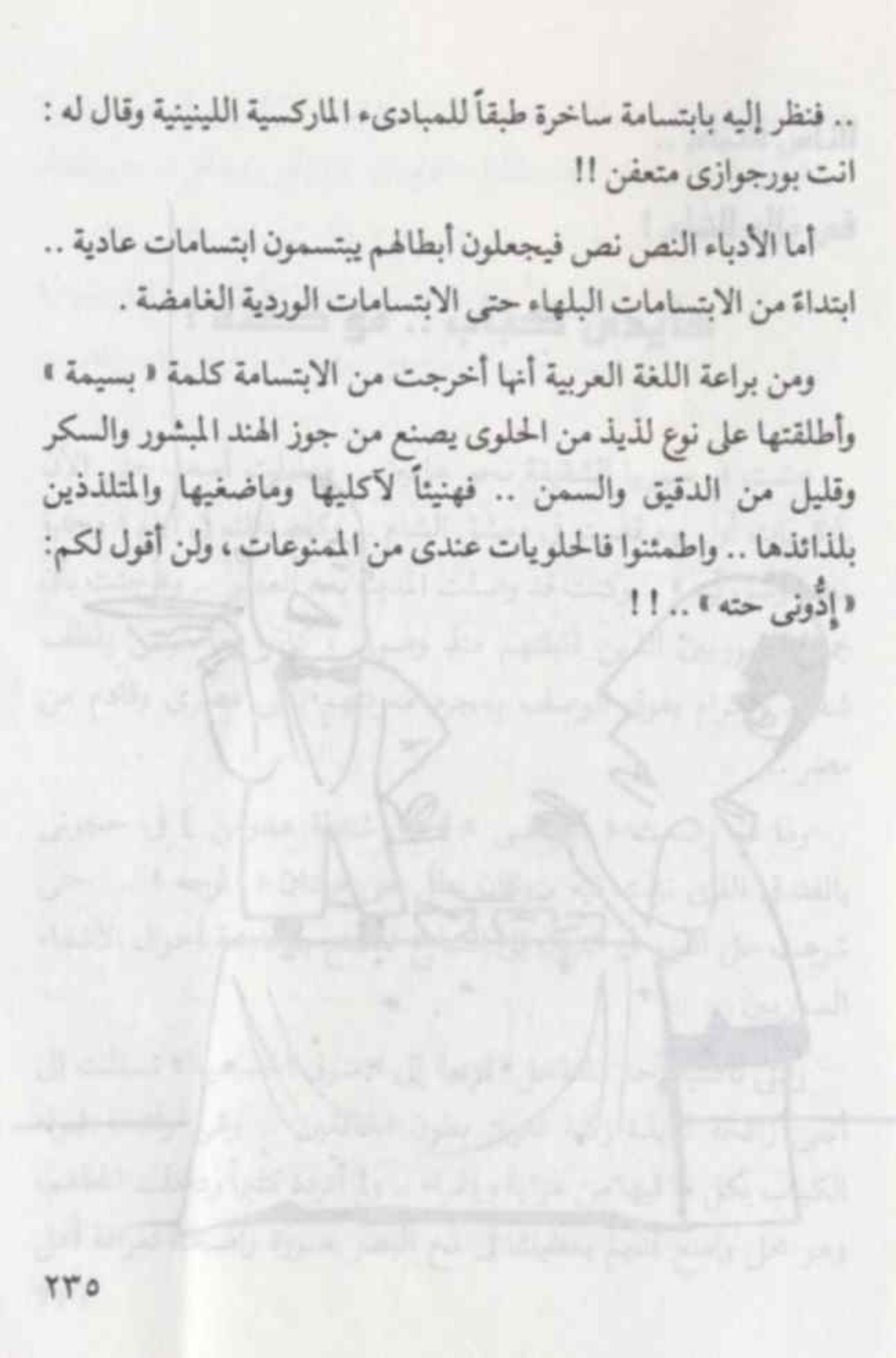

الناس التمام ..

فى بلاد الشام !

هايدى كباب .. مو كفته !

عشت فى سوريا الشقيقة نحو عامين .. ومازلت أسعد حتى الآن بذكريات أول يوم قضيته فى دمشق الشام .. وكان ذلك فى أيام « وحدة مصر وسُورِيِّه » .. وكنت قد وصلت المدينة بعد العصر .. وفوجئت بأن جميع السوريين الذين قابلتهم منذ وصولى ، كانوا يعاملوننى بلطف شديد وإكرام يفوق الوصف بمجرد معرفتهم بأنى مصرى وقادم من مصر ..

وما أن وضعت « أغراضى » [أى شنطة هدومى] فى حجرتى بالفندق الذى نزلت فيه ، وكان يطل على ميدان « المرجه » .. حتى شرعت على الفور فى النزول إلى الشارع للتمتع بمعايشة أحوال الأشقاء السوريين.

وعلى ناصية أحد المداخل المؤدية إلى « سوق الحميدية » تسللت إلى أنفى رائحة لذيذة زكية تغرى بطون الجائعين .. وهى رائحة شواء الكباب بكل ما فيها من غواية وإغراء .. ولم أتردد كثيراً ودخلت المطعم، وهو محل واسع قديم يعطيك فى لمح البصر صورة واضحة لعراقة أهل

الشام .. وجلست إلى مائدة فى حديقة صغيرة تتوسط المحل ، مزروعة بمجموعة من الورود والزهور والنباتات الخضراء ذات الروائح النفاذة .

جاءنى الجرسون على الفور ، ورحب بى الترحيب المعتاد ، وزاد فى ترحيبه عندما أدرك أنى مصرى .. قادم من أرض الأشقاء :

ـ مرحبتين خيّو .. صحتين وعافية .. أهلين وسهلين .. !

ـ أهلاً بيك .. عايز كباب .

ـ تكرم خيو .. عندنا هون حمام مشوى بالفريك والمكسرات .. وفروج [أى دجاج] مشوى .. ولحم بالعجين .. وطواچن خضار بالسمن العربى .. ونقانق [أى سجق] .. و«معكرونة » بالفرن ..

ـ شكراً شكراً .. أنا عايز كباب .

ـ تكرم خيو .. من عيناتى التنتين !

وفى خلال دقائق معدودة امتلأت مائدتى بمجموعة كبيرة من الأطباق الصغيرة المملوءة بمعظم أنواع السلاطات التى عرفتها ـ أو لم أعرفها ـ فى حياتى : زبادى بالخيار والنعناع .. طحينة بالينسون .. حمص.. بابا غنوج .. حبات كبيرة من الفول النابت بالثوم والكمون .. مكدوس [وهو باذنجان أسود مخلل ومحشو بالمكسرات] .. مخللات أخرى كالخيار والفلفل والليمون .. والسلاطات الأخرى الخضراء والبيضاء والحمراء .. بالإضافة إلى دورق مملوء باللبنة [الحليب الرايب] وسلة مملوءة بالعيش الشامى المقمّر .. منتهى العظمة !

وبدأت عملية التلذذ بالتهام السلاطات .. لا أدرى بماذا بدأت ولا بماذا انتهيت .. ولكنى أذكر أنى « فرملت » نفسى بصعوبة حتى أترك مكاناً للكباب حين يأتى .

وجاء الكباب محمولاً فى طبق من الصينى المنقوش بزخارف عربية بديعة .. ولكن الكباب لم يكن كباباً .. وإنما كان عبارة عن خمس أصابع غليظة من « الكفتة » ..

قلت للجرسون الطيب على الفور : دى كفته .. أنا طلبت كباب .. !

قال وهو يبتسم : هايدى كباب .. مو كفته !

ـ لا يا سيدى .. دى كفته ..

ـ سيدى .. الله يعطيك العافية .. چنابك طلبت كباب .. وهادا طلبك .. كباب يستاهل تِمَّك [يعنى بُقّك] ..

ـ لا يا خويا .. دى كفته .. أنا عارفها .. أنا عايز كباب .. كباب يعنى كباب .. مش عندكو خرفان ولحمة ضانى .. الكباب لحمه ضانى متقطعة حتت صغيّرة ومرشوقة فى سيخ .. وتشوى على نار الفحم .. ده الكباب .. وأنا بقى عايز كباب .. حتت حمره من غير سمين .. فهمت؟!

ـ نعمين خيّو .. أنا فهمان .. بِدَّكْ شَقَف !

ـ لا يا سيدى .. أنا مش عايز شقف .. أنا عايز كباب !

ـ تسلم ل خيّو .. لا تقول كباب .. قول شقف !

فقلت وأنا أحاول الاستسلام حتى لا تبدأ علاقاتى مع اخوانى السوريين بالخلافات : شقف شقف .. هات شقف وأمرى لله !

وعاد الجرسون الطيب وهو يحمل طبقاً مفروشاً بالخضرة .. وتتألق عليه قطع الكباب الشهية .. يتصاعد منها دخان له رائحة أطيب وأشهى .. ووضع الطبق أمامى وهو يشعر بزهو الانتصار :

ـ هاى شقف .. صحتين وعافية !

فقلت وأنا أشعر بزهو انتصار أكبر : شقف شقف .. لكن ده كباب.. احنا بنسميّه فى مصر كباب .. وهو كباب !

فقال ليوضح لى الحكاية بدرس فى أصول اللهجة السورية :

ـ الله يعطيكم العافية أحبابنا فى مَصِرْ .. برچوك لما تعود لأهل مصر .. فهمهن إن ده شقف .. اسمه شقف مو كباب .. الكباب عندنا هون لحمه مفرومه بنكبّيها فى الاسياخ وبنشويها على النار .. بنكبّيها .. من شان هيك بنسميها كباب . . فهمان خيوّ ؟!

فقلت لاطمئنه : حاضر .. لما أوصل مصر إن شاء الله .. حاقول لكل واحد مصرى .. هايدى شقف .. موكباب !

وقلت فى سرى : لو قلت لهم حكاية الشقف هذه .. لظنوا بى الظنون .. وربما اتهمونى بالجنون .. أو أصابتنى « هفّة » .. فلم أعد أعرف الفرق بين الكباب والكفتة .. !

الناس التمام ..

فى بلاد الشام

درس فى الدولاب والقطرميز !

فى تلك الأيام كنت مكلفاً بالإشراف على نقل الحجاج السوريين بالسفن من اللاذقية إلى ميناء جدة .. وكان عملى يقتضى أن أقوم بالسفر من دمشق إلى اللاذقية عدة مرات .. والطريق البرى بين دمشق واللاذقية يستغرق نحو سبع ساعات بالسيارة .. مروراً بحمص وحماه وطرطوس وبانياس .. وتتنوع مناظر الطريق الجميلة بين الحقول والجبال والمدن والقرى الصغيرة ذات البيوت البيضاء .

وفى كل سفرية كنت استأجر سيارة أجرة لتقلّنى أنا وأحد كبار موظفى مديرية شئون الحج بوزارة الداخلية السورية .. ومازلت أذكر إحدى هذه الرحلات التى تلقيت فيها درساً فى « الدولاب » ..

كان معى مدير المديرية وأذكر أن اسمه كان « ياسين بيك » .. وهو رجل ظريف كان يحب المزاح وسماع النكت المصرية .. أما السائق فقد كان اسمه « صفوى » .

وعندما بدأت الرحلة ، لاحظت أن « عم صفوى » قد اتجه بالسيارة

نحو طريق الصالحية ولم يتجه نحو طريق بغداد، وهو المخرج الطبيعى من دمشق إلى اللاذقية ..

سألته مندهشاً : الله .. انت رايح فين يا عم صفوى ؟!

أجاب بهدوء : تسلم لى مختار بيك .. رايحين نچيب الدولاب !

ازدادت دهشتى فقلت محتجاً : دولاب ؟ .. يا نهار اسود .. رايح نجيب دولاب .. ؟!

ـ ايوه يا بيك .. هادا ضرورى .. لازم ناخده معنا ..

ازداد غضبى : لا .. مفيش دواليب .. دى سيارة أجرة مش سيارة نقل ..

ـ خيّو .. الله يعطيك العافية .. خمس دقايق وبناخد الدولاب معنا .. الراجل مجهزه ..

ـ راجل مين ؟! .. وحتحط الدولاب فين .. ؟!

ـ بسيطة خيّو .. بنشيله ورا .. فى حقيبة السيارة .

ـ إزاى .. دى العربية تتقلب فى الملفات .. إسمع يا عم صفوى .. إذا كنت مصر على موضوع الدولاب ده .. احنا مش حنسافر معاك .. ناخد عربية تانية ..

ـ صيدى .. لازم الدولاب .. مو حقدر أسافر من غير الدولاب !

ـ الظاهر مفيش فايدة .. نزّلنا هنا .. وإذا سمحت هات «الرعبون» تبعى .. [أى هات « العربون » الذى دفعته] .

وهنا تدخل « ياسين » وقال بهدوء : مختار بيك .. إتركه لحاله .. بدّه يجيب الدولاب .. خليه يجيبه .. بدّنا نوصل اللاذقية والمسافة طويلة ..

فحسمت الأمر على الفور وقلت بكل إصرار : أنا لا يمكن أسافر فى عربية شايلة دولاب .. ياالله يا « ياسين بيك » ناخد عربية تانية !

فى تلك اللحظة ، توقف « عم صفوى » أمام محل لإصلاح كاوتش السيارات .. عليه يافطة مكتوبة بخط كبير واضح .. « إصلاح الدواليب» .. !!

وعندئذ علمت أن إخواننا السوريين يسمون عجلة السيارة باسم «دولاب » .. وكان عم صفوى يريد أخذ العجلة أو الدولاب «الاستبن».. وانتهى الدرس دون أن أتهم بأنى غبى .. بل وأخذنا نضحك طول الطريق ، على تلك المفارقة بين لهجة السوريين ولهجة المصريين .. !

وفى سوريا يسمون الحلويات « سكاكر ومعجنات » .. وهناك صنف من هذه المعجنات يسمونه « برانق » .. وهى أقراص مقرمشة لذيذة مصنوعة من عجينة الفستق .. وقد وقعت فى غرام هذه البرانق من أول

برنق وصل إلى فمى .. وظل هذا الحب متمكناً فى قلبى طوال إقامتى بالديار السورية إلى أن عدت مرة أخرى إلى أرض الكنانة .

وبمرور الأيام اكتشفت أن الإنسان فى استطاعته أن يبلغ قدراً هائلاً من الهناء والسعادة ، إذا « قرمش » البرانق وهو يشرب حليب الصباح .. وفى استطاعته أيضاً أن يتربع على قمة الهناء والسعادة ، إذا « غمّس » البرانق بمربة المشمش .

وفى عصر أحد الأيام دخلت دكان « الزيات » [وهم هناك يسمون البقال زياتاً كما يسمون الجزار لحّاماً] .. وقلت للزيات باهتمام : عندك مربة مشمش .. ؟

فضحك الزيات حتى كاد أن يستلقى على قفاه ، وقال وهو يلتقط أنفاسه : اسمه « مُشْمُشْ » [بضم الميم الأولى والثانية] .. مو « مِشْمِشْ » [بكسر الميم الأولى والثانية] ..

قلت مستسلماً : معلش يا سيدى .. حقك علىّ .. عندك مربة «موشموش » .. ؟!

ـ نعمين .. تكرم خيّو .. بِدّك قطرميز .. ؟

ـ لأ .. أنا عاوز « موشموش » !

ـ إيوه فهمان .. يعنى بتريد قطرميز .. ؟

ـ يا أخينا أنا باقول بالعربى عايز موشموش .. مش عايز قطرميز ..

وهنا حسم الزيات النقاش ، ووضع أمامى علبة من مربة المشمش .. وفرحت أخيراً بتحقيق الطلب .. ولكنى تذكرت أن البيت الذى أعيش فيه لا يوجد به مفتاح لفتح هذه العلب الصفيح .. فطلبت من الزيات أن يتكرم بفتح العلبة .. وهنا اغتاظ الزيات وأخذ ينفخ ويتأفف ، وقال بغضب :

ـ خيو .. أنا قلت لك خد قطرميز .. قلت لى مو عايز قطرميز .. خد.. هادا قطرميز .. تفتحه « تسكّره » [أى تغلقه] كيف ما بتريد ..!

وهنا فقط ، أدركت أن « القطرميز » هو « البطرمان » أو « البرطمان » الذى نعرفه فى مصر .. وكان بعض اخواننا من الزبائن السوريين قد تجمعوا بالدكان انتظاراً لانتهاء هذه البيعة التى تتضمن تلقين أحد المصريين درساً فى القطرميز ، وافهامه بأن اسمه قطرميز .. مو بطرمان !.. وقال أحد الزبائن مخاطباً الآخرين :

ـ والله يا شباب المصريين دمهم خفيف .. عم بيقولوا على القطرميز بطرمان .. مو عارفين شو اسمه !

ولم أهتم بالضحكات التى تناثرت حولى .. وأخذت بطرمان المشمش، واتجهت على الفور إلى بيتى .. حيث البرانق تنتظرنى .. !

فهرس المحتويات

مسلسل	الموضوع	الصفحة
١ـ	حرامى الأسد	٧
٢ـ	تهويش فى تهويش	١٣
٣ـ	فرح عديلة	١٧
٤ـ	التكنولوجيا أو الفول أتوماتيك	٢١
٥ـ	شورهم وخالف شورهم	٢٥
٦ـ	الحبل وسنينه	٢٩
٧ـ	حوار بديع مع طفل رضيع	٣٥
٨ـ	منكم .. وبكم .. وإليكم .. وعليكم	٤١
٩ـ	لائحة تأديب النواب	٤٥
١٠ـ	كوز الإنتاج .. وخشبة الانتاج البيضاء	٥١
١١ـ	البكش أنواع .. والبكاشون كثيرون	٥٧
١٢ـ	عالم مبنى على النصب	٦١
١٣ـ	القروض وشغل القرود	٦٧
١٤ـ	تنويعات على ضريبة المبيعات	٧١
١٥ـ	كل واحد وزة	٧٧
١٦ـ	وحياة سيدنا الحمار	٨١
١٧ـ	الاستاذ «كومب» يعترف	٨٥
١٨ـ	تحت بيتنا وزارة	٩١

١٩ـ الإيجاز فى عذاب البوتاجاز ٩٧
٢٠ـ قل حريقة ولا تقل مطافى ١٠٥
٢١ـ ومن الحرائق ما يضحك ١١١
٢٢ـ احترس من النقاشين ١٢٣
٢٣ـ الشهامون والحشاشون أيام زمان ١٢٧
٢٤ـ تسلية الصيام بفاخر الطعام ١٣١
٢٥ـ ذكريات رمضانية من الفوطية وباب الشعرية ١٣٥
٢٦ـ سى باولو ١٤١
٢٧ـ سينما الهلس .. جاتها نيلة ١٤٥
٢٨ـ أسعد الأوقات .. مع ممثلة إعلانات ١٤٩
٢٩ـ الرقّاصات الوطنيات ١٥٥
٣٠ـ سيما أونطة .. هاتو فلوسنا ١٥٩
٣١ـ سينما الرفس والضرب بالبوكس ١٦٢
٣٢ـ الهجص والنهليس .. فى سينما الجواسيس ١٦٧
٣٣ـ بهلون يغزو إسرائيل ١٧٣
٣٤ـ إن أنكر الأصوات ١٨١
٣٥ـ صنّاع الدوشة فى الأفراح ١٨٧
٣٦ـ النصائح الذهبية لرواد الأغنية الشبابية ١٩١
٣٧ـ خطاب عتاب من مطرب شباب ١٩٥
٣٨ـ للإسفاف خمس فوائد ٢٠١
٣٩ـ النيل وعشاقه .. وتباريح هواهم ٢٠٥
٤٠ـ الفرق بين النيلة والستين نيلة ٢٠٩
٤١ـ لغالبغ لغوية .. على وزن « تحرير » ٢١٣

٤٢ ـ فذلكة .. فى اللكلكة والهمبكة ٢١٧
٤٣ ـ لا تذهب مع الشاطر إلى القناطر ٢٢١
٤٤ ـ عوجة اللسان .. الآن وأيام زمان ٢٢٥
٤٥ ـ الضحك بطريقة جادة ٢٢٩
٤٦ ـ ابتسم يبتسم ابتساماً ٢٣٣
٤٧ ـ هايدى كباب .. مو كفتة ٢٣٧
٤٨ ـ درس فى الدولاب والقطرميز ٢٤١

رقم الإيداع : ٧٨٣٧ / ١٩٩٢
I . S . B . N : 977 - 270 - 016 - 4

عربية للطباعة والنشر
١٠٠٧ شارع السلام ـ أرض اللواء المهندسين
ت: ٣٠٣٦٠٩٨

الضحك بسبب!

عرف الأستاذ مختار السويفى بأنه كاتب متعدد المواهب .. فإلى جانب العشرات من مؤلفاته ومترجماته فى العلوم والاقتصادية والبحرية .. وفى الأدب والفن .. وفى التاريخ والآثار .. يكتب المؤلف مقالات كثيرة وقصصاً قصيرة تؤكد عمق انتمائه إلى شعب مصر الأصيل بكل عاداته وتقاليده وسلوكياته الطيبة ..

هذا الإنتماء الصادق إلى الجذور الشعبية العريقة فى مصر ، أدى إلى تعميق نظرة الكاتب إلى العيوب والمثالب والسلوكيات الاجتماعية غير السوية التى طفحت كالبثور التى تحاول تشويه وجه مصر والمصريين .

وهكذا أعلن المؤلف حرباً مستمرة على كل تلك العيوب والمثالب .. ولكنها حرب تتخذ السخرية سلاحاً ماضياً لكشف هذه السلوكيات ونقدها وتعرية مرتكبيها .. أملاً فى أن تكون تلك السخرية المريرة وسيلة سلمية للقضاء عليها.

ويتضمن هذا الكتاب ٤٨ موضوعاً من الأدب الساخر الذى تميز به أسلوب المؤلف كتعبير صادق عن وجهة نظره .. وكل موضوع من هذه الموضوعات عبارة عن طلقة ناقدة ساخرة ضد اللصوص والنصابين الذين أشاعوا الفساد فى البلاد .. وضد أدعياء الفن الذين أصبحوا بالفعل عاراً على فنون المسرح والسينما والغناء .. وضد الإحساس بالظلم الذى يتعرض له الأبرياء الأسوياء كلما انتشرت مظاهر هذا التلوث .

« الناشر »

الدار المصرية اللبنانية

طباعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبد الخالق ثروت - التليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس: ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً: دار شادو - ص.ب: ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH

PRINTING — PUBLI SHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O Box 2022 Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO